حوليات آداب عين شمس المجلد٤٦ (عدد يناير– مارس٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الثبات والتغير في علاقات التهادي التقليدية والإلكترونية دراسة أنثروبولوجية

سلوى السيد عبد القادر *

مدرس بقسم الأنثروبولوجيا، ومدير وحدة ضمان الجودة- كلية الآداب جامعة الإسكندرية

المستخلص

إن التواصل عبر الشبكات الاجتماعية الإلكترونية طريقة مستحدثة من طرق التواصل بين البشر، ومن ثم ينشأ عنها شكلًا جديدًا من أشكال العلاقات الاجتماعية عامة، ولاسيما علاقات التهادي.

تهدف الدراسة الحالية إلى:

١-التعرف إلى مفهوم التهادي الإلكتروني، والأشياء التي تُتَدَاول إلكترونيًا

٢-الكشف عن القواعد الثقافية المختصة بالتهادي الالكتروني

٣-تحديد الدور الاجتماعيّ والثقافيّ للتهادي الإلكترونيّ

٤-الكشف عن عوامل الثبات في علاقات التهادي، وعوامل التغير

اعتمد البحث على المنهجين؛ الوصفي التحليلي، واهتدى بإطار نظري مستمد من التفاعلية الرمزية، كما اعتمد على دراسة ميدانية باستخدام الطريقة الأنثروبولوجية، ووظف عدة أدوات للبحث مثل: المقابلة(الفردية والجماعية)، والملاحظة بالمشاركة، فضلاً عن الإثنوجرافيا الإلكترونية.

- وخلص البحث إلى عدد من النتائج منها:

- إن التهادي الإلكتروني لا يعني إلغاء حاجة الناس للتهاديّ بالمعنى التقليديّ والمتعارف إليه.
- إن نمط التهادي الإلكتروني على عكس التهادي التقليدي وسيلة مناسبة وفاعلة للاحتفاظ بعلاقات سطحية مع أصدقاء افتراضيين
- التهادي الإلكتروني سلاح ذو حدين؛ فبالقدر الذي يعزز به العلاقات الإنسانية ويقويها، فقد يضعفها ويهدمها في بعض الأحيان.
- إن التهادي الإلكتروني يحمل في طياته كل من عوامل الثبات والتغير، ويتضح الثبات في استمرار علاقات التهادي بين البشر، والقواعد المنظمة لها، أما التغير فيكون في شكل الهدية، وطريقة تقديمها، وتسلمها، وردها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

أولًا- موضوع البحث وأهميته:

يعد التواصل عبر الشبكات الاجتماعية الإلكترونية نوعًا جديدًا من التواصل بين البشر ارتبط بمرحلة مهمة من مراحل التطور التكنولوجي التي عرفتها البشرية في الربع الأخير من القرن العشرين حتى الآن، وهي مرحلة تكنولوجيا المعلومات التي تتداول المعلومات والمعارف فيها بين بني الإنسان في جميع أنحاء العالم، وفي أشكال عدة للتداول (مقروء، ومرئيّ، ومسموع أو كل ذلك) . وترى الباحثة أن استحداث طريقة جديدة للتواصل بين البشر يستتبعه نمطًا مستحدثًا من العلاقات الاجتماعية عامة، وعلاقات التبادل خاصة، وعلاقات التهادي بشكل أكثر خصوصية ؛ فالتواصل الإنسانيّ بواسطة وسائل جديدة ينشئ علاقات جديدة، -وبمعنى أدق- يضفي سمة جديدة أو مظهرًا جديدًا للعلاقات الإنسانية، وقد لوحظ في الآونة الأخيرة، ولاسيما في أثناء ثورة الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١م وما بعدها؛ تنامي دور وسائل التواصل الاجتماعي، ولاسيما الفيسبوك، وتزايد أعداد مستخدميه(*) من المستويات كافة، كما لوحظ أيضًا استخدامه في أغراض عدة منها: تبادل التهاني والتبريكات بين المستخدمين_سواء أكانوا أفرادًا أم جماعات_في مختلف المناسبات الشخصية والاجتماعية_التي تتطلب تقديم هدية_ وأيضًا انتقاء عبارات تحوي نوعًا ما من أنواع الإسقاط، وتبادل عبارات الهجاء تجاه الآخر، والسخرية منه، سواء أكان بشكل مقصود، ومباشر أم بشكل غير مباشر؛ تصريحًا أو تلميحًا فيما يعرف في الثقافة الشعبية ب"تلقيح الكلام" عن طريق كتابة عبارات تنم عن الحالة المزاجية للشخص وما تعرض له من مواقف قد تتسم بالسلبية أو الإيجابية، مما يشير إلى ظهور نوع جديد من المبادلة الافتراضية؛ له طبيعة مختلفة عن التبادل بالمعنى الاقتصاديّ يمكن وصفه بطبيعته الودية أحيانًا، وغير الودية في أحيان أخرى؛ إذ يؤثر في العلاقات الاجتماعية بين مستخدميه، ويؤثر في التواصل المباشر بين الأفراد سواء أكان بالإيجاب أم بالسلب، ، بدرجة قد يمتد تأثيرها إلى المجتمع الحقيقيّ غير الافتراضيّ.

وبناءً عليه، ترى الباحثة وجود ضرورة إلقاء الضوء على مجال جديد من مجالات التفاعل عبر الإنترنت، والذي أقترح تسميته بالتهادي الإلكترونيّ، ومن ثم أتناوله بالوصف ثم توضيح مختلف العوامل المؤثرة فيه، والأبعاد التي يتضمنها، ومدى ارتباطه بعلاقات التهادي التقليدية، وبالثقافة المجتمعية، ومدى الأهمية التي يحظى بها والدور الذي يؤديه في دعم علاقات التهادي، أو تقويضها، بوصفه نمطًا سلوكيًا مستحدثًا تقبله عدة من الناس، ومارسوه بمختلف مستوياتهم النوعية والعمرية والاقتصادية والثقافية؛ ومن ثم يتضمن تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على شبكة العلاقات الاجتماعية؛ فقد يكون من المهم في ظل التغيرات التكنولوجية التي يشهدها المجتمع كله، والتي يتضح أثرها في الاستخدامات المتزايدة لشبكات التواصل الاجتماعي الكشف عن نمط جديد لعلاقات التهادي بواسطة برامج التواصل الاجتماعيّ(فيسبوك Facebook، وتويترTwitter، وأنستجرام Anistagram، وفايبرViber، وواتسابWhat's app، وغيرها) وتطبيقاته، وتفترض الباحثة أن له أثرًا في الحياة الاجتماعية والثقافية؛ إذ أرسى دعائم ثقافة جديدة للتبادل: الوديّ، وغير الوديّ في المجتمع الافتراضيّ، كما تفترض تضمنه تأثيرات عدة في العلاقات الاجتماعية بين مستخدميه، بدرجة قد يمتد تأثيرها إلى المجتمع الحقيقيّ غير الافتراضي، ويؤثر في التواصل المباشر بين الأفراد سواء أكان بالإيجاب أم بالسلب؛ ومن ثم الوصول إلى فهم أعمق لظاهرة جديدة نسبيًا من ظواهر الحياة الإنسانية تعكس بشكل جلي قدرة الإنسان على تطويع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات واستخدامها في تحقيق أغراضه الخاصة، التي قد تحمل في طياتها أهدافًا ترويحية، فضلاً عن أهداف دعم

الاجتماع الإنساني، والتواصل، بالقدر نفسه الذي يستخدمها في تحقيق أهداف تبادلية أخرى تختص بتصفية حسابات ومن ثم تدعم التوتر الاجتماعي بين البشر. كما تتضح أهمية الدراسة في محاولة تحديد كل من عناصر الثبات في علاقات التهادي الإلكترونيّ، وعناصر التغير أيضًا.

ثانيًا- المفاهيم الأساسية:

الدور الاجتماعيّ والثقافيّ، والتبادل التناوبيّ، والتهادي الإلكترونيّ، والتغير الثقافي، وشبكات التواصل الاجتماعيّ ، والهدية الإلكترونية، وسوف يرد تعريف تلك المفاهيم في موضعها في متن البحث؛ إما في صورتها الإجرائية، وإما وفق التراث الأدبي المتوفر عنها والذي تتبناه الباحثة.

ثالثًا- التساؤلات: يسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية

- إلى أي مدى تصلح وسائل التواصل الاجتماعيّ بوصفها وسيطًا للتهادي الافتراضيّ؟
- ما طبيعة الهدية الافتراضية، وما شكلها؟
- ما الالتزامات المختصة بالتهادي الافتراضيّ، والقواعد الثقافية المنظمة له؟
- هل يرتبط التهادي الافتراضيّ بمتغيرات (المكانة-المسافة الاجتماعية-القرابة-المصاهرة)؟
- إلى أي مدى يمكن أن يكون التهادي الافتراضيّ بديلاً مرضيًا للتهادي الحقيقي؟
- ما الدور الاجتماعيّ والثقافيّ للتهادي الالكترونيّ عبر أدوات التواصل الاجتماعيّ؟
- إلى أي مدى تؤثر الهدية الافتراضية في طرفيّ علاقة التهادي؟
- ما عوامل الثبات في علاقات التهادي، وعوامل التغير؟

رابعًا- الأهداف: يهدف البحث التعرف إلى:

- أهمية التهادي الافتراضيّ وخصائصه، وشروطه.
- المناسبات الاجتماعية التي يحدث فيها التهادي الافتراضيّ
- ماهية الأشياء التي تتداول إلكترونيًا
- طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أطراف التهادي، وارتباطها بمتغيرات مثل: (المكانة-المسافة الاجتماعية-القرابة-المصاهرة)
- الالتزامات المختصة بالتهادي الافتراضيّ، والقواعد الثقافية المنظمة له
- الدور الاجتماعي والثقافي للتهادي الالكترونيّ/ الافتراضيّ عبر أدوات التواصل الاجتماعي
- عوامل الثبات في علاقات التهادي، وعوامل التغير

خامسًا- التصور النظري

يرتكز التصور النظري للبحث على رؤية منبثقة من خلال كل من:

أ. رؤية أعضاء التفاعلية الرمزية

ب. رؤية مارسيل موس

ج. رؤية مالينوفسكي

أ. التفاعلية الرمزية؛ ترتكز التفاعلية الرمزية وفق رؤية "هربرت بلومر" على ثلاث فرضيات.

- إن البشر يتصرفون تجاه الأشياء بناءً على معاني تلك الأشياء بالنسبة لهم، وتتضمن هذه الأشياء كل ما يلحظه الإنسان في عالمه من أشياء مادية مثل: الأشجار، وملاحظة غيره من البشر(أم-موظف في متجر-أصدقاء-أعداء) والمؤسسات مثل: المدرسة، وأنشطة الآخرين، والمواقف التي تواجه الفرد في حياته اليومية.

- إن معاني الأشياء منبثقة من التفاعل الاجتماعيّ للشخص مع زملائه. ومعاني الأشياء لها مصدران؛ إما أن تكون أمرًا مسلمًا به(الكرسيّ كرسيّ، والسحاب سحاب،) وإما أن تكون نتاجًا لعدة من العوامل، وهي المسؤولة عن إنتاج السلوك. كأن يتجه علماء النفس إلى تحديد عوامل مثل: المنبهات والمواقف والدوافع الشعورية أو اللاشعورية، وأنواع مختلفة من المدخلات النفسية مثل: الإدراك الحسيّ، والإدراك المعرفيّ، وسمات الشخصية؛ بوصفها تفسيرات لأشكال معينة من السلوك البشريّ. بالطريقة نفسها يركز علماء الاجتماع على عوامل مثل: الوضع الاجتماعيّ، ومتطلبات المكانة، والأدوار الاجتماعية، وصفات ثقافية، والمعايير والقيم، والضغوط الاجتماعية، والانتماء لجماعة ما؛ من أجل تقديم تفسيرات للسلوك؛ لأن المعاني منتجات اجتماعية إنسانية.

- إن هذه المعاني يُتعامل معها وتُعَدَّل عن طريق عملية تفسيرية بواسطة الشخص الذي يتعامل مع هذه الأشياء التي يواجهها. وترتكز التفاعلية الرمزية على عدد من الأفكار تمثل معًا الطريقة التي يُنظر بها إلى المجتمع الإنسانيّ والسلوك، وتتمثل هذه الأفكار في الجماعات البشرية أو المجتمعات، والتفاعل الاجتماعيّ، والأشياء، والإنسان بوصفه فاعلًا، والفعل الإنسانيّ، والترابط بين خطوط الفعل. كما اهتم "بلومر" بطبيعة كل من المجتمع الإنسانيّ، والتفاعل الاجتماعيّ، و الإنسان بوصفه فاعلًا ، وطبيعة الأشياء، وطبيعة الفعل، والعلاقة المتبادلة بين خطوط الفعل(١).

وبناءً على ما تقدم يؤكد "نورمان دينزن" Norman K. Denzin أن التفاعلية الرمزية مخطط فلسفيّ ينسجم مع التجربة، والخبرة الاجتماعية، وأن البشر هم الذين أنشأوا عوالم الخبرة التي يعيشون فيها، وهم يتخذون إجراءات إزاء مختلف الأشياء فيما يختص بمعانيها بالنسبة لهم. وتأتي هذه المعاني عن طريق التفاعل، وتتشكل من انعكاسات الذات التي يسقطها الأشخاص على أوضاعهم. ويرتبط تفاعل الذات self–interaction ويتأثر بالتفاعل الاجتماعيّsocial interaction، ويعد التفاعل الرمزيّ (الذي يمثل اندماج التفاعل الذاتيّ بالتفاعل الاجتماعيّ) وسيلة رئيسة يصبح عن طريقها البشر قادرين على تشكيل السلوك الاجتماعيّ أو السلوك المشترك، فالمجتمع يتكون من أفعال مشتركة أو اجتماعية تتشكل وتنفذ من قبل أعضاء هذا المجتمع. وقد تكون مواقف التفاعل روتينية أو شعائرية، تحدث فيها تجارب وينشأ عنها خبرات وتجارب، وهناك مواقف يُكسَرُ بسببها الروتين؛ إذ يعيد الناس منها تعريف أنفسهم بشكل جذريّ، كما يحدث مثلًا في أوقات الأعياد(٢).

ب. رؤية مارسيل موس

الهدية في قاموس "لونجمان المعاصر" Gift تعني شيئًا ما تعطيه لشخص ما؛ لتحقيق أهداف عدة منها على سبيل المثال: أن تقدم له الشكر، أو لأنك تحبه، ويحدث ذلك في مناسبة خاصة(٣). الهدية بالمعنى العام نوع من التعامل يُقصد به إعطاء الآخرين شيئًا اختياريًا ومن دون أي إجبار أو ضغط، وهذا العطاء يهدف إلى الحصول على السرور. وقد

يكون الهدف من التهادي السعي إلى اكتساب مكانة اجتماعية عالية، والحصول على الشهرة، وذيوع الصيت [٤].

وقد قدم عالم الانثروبولوجيا الفرنسيّ "مارسيل موس" أول تطبيق موسع لفكرة تبادل الهدايا لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية، مؤكدًا المتلازمات الاجتماعية للتبادل فضلاً عن وظائفه الاقتصادية[٥]. فأكد "موس" أن الهدايا نظام تبادليّ وملزم في كثير من المجتمعات، وأن الجانب الاقتصاديّ لا ينفصل عن الجانب الاجتماعيّ؛ إذ تتشابك العلاقات الاقتصادية بالقيم والعلاقات الأخلاقية في المجتمع، ومن الخطأ فصل العاطفة عن المصلحة الذاتية، مؤكدًا أن القيمة الاقتصادية لها مصدر دينيّ، وشاركه "إميل دوركيم هذا الرأي؛ مشيرًا إلى أنه يمكن التخلي عن القيم النفعية؛ من أجل الحصول على مكانة اجتماعية، وأن القيم الطقوسية تسبق القيم الاقتصادية وتعلو عليها[٦]. ولاحظ "مارسيل موس" عام ١٩٥٤م أن رفض قبول الهدية أو عدم ردها يمثل إهانة offense أو إساءة توازي في شدتها إعلان الحرب، ونظر إلى التهادي بوصفه نوعًا من التبادل يرتكز على ثلاثة التزامات؛ المنح، والتسلم، والرد، كما نظر إلى الهدية بوصفها محملة بالمعاني الرمزية، وتعكس الشخصية الاجتماعية لأطراف المبادلة(أفراد-جماعات)، كما أشار إلى أن النجاح في صنع المبادلات، أو الفشل؛ يؤثر في المكانة الاجتماعية، وبصفة عامة ركز على الدور المهم للهدية المتبادلة في المجتمعات البدائية[٧]. كما ذكر "ليفي ستروس" أن الانتقال من عالم الحيوان إلى الإنسان، أو من الطبيعة إلى الثقافة حدث بواسطة وسيط تبادل، ويتضمن تقديم الهدية وضع الذات في مواجهة مع الآخر، أو وضع جماعة ما في مواجهة مع جماعة أخرى، وهكذا نشأت الفئات الاجتماعية بواسطة تبادل الهدايا وليس عن طريق عالم الأفكار، واقترح "ليفي ستروس أن المرأة هي "الهدية العليا"؛ لأن خصوبة المرأة ضرورية من أجل تكاثر الجماعة واستمرارها؛ ومن ثم فلا يوجد عائد عادل للمرأة سوى امرأة أخرى[٨].

إن تبادل الهداياGift Exchange والذي يسمى أيضًا تبادل شعائريّ Ceremonial Exchange، ينظر إليه بوصفه فعلاً يتم بواسطة الأشخاص المعنيين بشكل طوعيّ، وعلى الرغم من ذلك فهو يمثل جزءًا من السلوك الاجتماعيّ المتوقع، ويمتاز تبادل الهدايا عن أشكال التبادل الأخرى ويتضح ذلك في جوانب عدة منها؛ أن العرض الأول يُقدم بطريقة سخية، كما لا توجد مساومة بين المانحين والمتلقين، كما يعبر تبادل الهدايا عن علاقة اجتماعية قائمة، أو يؤسس لعلاقة جديدة تختلف عن علاقات السوق غير الشخصية، وأما العائد فلا يكون ماديًا بل يكون في مجال العلاقات الاجتماعية والهيبة. وتنطوي دورة تبادل الهدايا على التزامات بتقديم هدية، وتسلمها، وإعادة تكرار ذلك مرة أخرى. وقد توجد جزاءات لحمل الناس على تقديم الهدية، وينجم عن عدم القيام بذلك عدم الرضا وفقدان المكانة والهيبة. ويمكن اعتبار رفض قبول الهدية رفضًا للعلاقات الاجتماعية، وقد يؤدي إلى العداوة. ويتضمن مبدأ المعاملة بالمثل الالتزام بإعادة الهدية؛ فالهيبة المرتبطة بظهور الكرم تستوجب أن تكون قيمة العائد مساوية تقريبًا لقيمة الهدية الأصلية أو أكبر منها. ويوفر تبادل الهدايا دينًا لمتسلم الهدية يستمر لمدة زمنية، ويؤكد وجود علاقة اجتماعية، ويعززها ويعبر عنها، كما توضح الهدية مكانة الأشخاص المعنيين (المُهْدي-المُهْدى إليه)، وقد امتد مفهوم المعاملة بالمثل الذي يكمن خلف تبادل الهدايا للمجال الشعائريّ، والدين. قد ينظر إلى بعض التضحيات على أنها هدايا إلى قوى خارقة للطبيعة من المتوقع أن تُرد في شكل معونة وقبول، كما قد ينظر إلى العلاقات الاجتماعية المتبادلة؛ المتمثلة في تنقل المرأة

عند الزواج بين جماعات الأقارب، على أنها تشبه تبادل الهدايا، من حيث الالتزامات وأنواع العلاقات، وحُلّل تبادل الهدايا "البوتلاتش" بين هنود ساحل شمال غرب المحيط الهادي بوصفه جانبًا للتكيف المعيشيّ مع النظام الاجتماعيّ والاقتصاديّ، يسمح بإعادة توزيع الفائض من الثروة والغذاء في بعض المواقع الإيكولوجية [٩].

ج. رؤية مالينوفسكي

اهتم "مالينوفسكي" بدراسة نظام التهادي، وغيره من أشكال المعاملات الاقتصادية التي تتدرج من الهدية الخالصة، إلى أشكال التبادل الأخرى التي يراعى فيها دفع مقابل، والهدية الخالصة pure gift هي منحة تقدم من دون أن ينتظر صاحبها الرد، والمقصود بها الأفعال والخدمات أو الأشياء التي يقدمها الشخص لغيره من الناس من دون أن يتوقع منهم أن يقدموا أي مقابل لها. وبسبب ارتباط الهدايا بالقرابة والمصاهرة، فقد اكتسبت معنى اجتماعيًا محددًا أكثر مما هي أشياء مادية قابلة للتداول من يد لأخرى، ولذا فحينما لا توجد واجبات اجتماعية محددة وملزمة يندر وجود نظام للتهادي في المجتمع[١٠]. تعد دراسة "مالينوفسكي" لنظام "الكولا" بوصفه نموذجًا لنسق التبادل البدائيّ، أحد أبرز الأعمال التي كتبت في هذا الشأن ولاسيما أن تحليله معتمدًا على دراسة ميدانية فعلية، وقد أوضح في تحليله أنواع عدة من الاهتمام النظريّ، وصنف الأشياء إلى فئات ثلاثة؛ الفئة التكنولوجية التي يزداد نموها من أجل الاستخدام العملي، والفئة الشعائرية، بوصفها وسائل للاستخدام الشعائري، والفئة الاقتصادية التي تحوي قيمة تبادلية. وفي التمييز بين الأشكال المختلفة للهدية والتبادل في المجال السسيو-اقتصاديّ للتروبرياند، لفت الانتباه إلى معيار مرتبط ذي أهمية عامة مثل: انتظام عملية النقل، ودرجة العقوبة العرفية، وفورية الرد، وتكافؤه، ومدى المساومة. كان "مالينوفسكي" واحدًا من أوائل العلماء الذين أظهروا بوضوح وجود النظم الاقتصادية البدائية، وما وصفه الآخرون لاحقا دورات التبادل أو مجالات التبادل المختلفة. كما أدخل مفهوم التبادل بالمثل إلى التراث العلميّ الأنثروبولوجيّ. وأكد مالينوفسكي أن دراسة طبيعة المعاملات مبدأ مهم؛ لأنه يلفت الانتباه إلى التطبيقات الأوسع المحتملة لأي نقل فردي للسلع والخدمات، ويركز الانتباه إلى مكان هذا العنصر في نسق المبادلات. كما أوضح ثانية كيف أن العطاء المستمر، سواء أكان بين شركاء معينين، أم كان بين الأقارب وأعضاء المجتمع المحليّ هو تبادل علنيّ، يحقق التماسك، ويعطي معنى للحياة الاجتماعية.

ومن الأشياء الجوهرية التي أكدها ارتباط العلاقات الاجتماعية بالواجبات الاقتصادية، واعترافه "بالميل العميق لخلق روابط اجتماعية عن طريق تبادل الهدايا وكما أشار "جودفيلو" فقد أوضح "مالينوفسكي" أن الجماعة تبقى لأن كل شخص يشعر بأن ما يقدمه للآخر سوف يرد له في شكل خدمة مماثلة، كما أوضح في تحليله كيف أن تبادل الهدية يرمز إلى علاقات المكانة ويحافظ عليها، كما أن التبادل عنده يصبح أساسا ملحوظًا وصلبًا للبناء الاجتماعيّ"[١١].

في ضوء الرؤى السابقة لأعضاء التفاعلية الرمزية حول معاني الأشياء-والمقصود بالأشياء هنا الهديا الإلكترونية بأشكالها المتنوعة-فإن سلوك المبحوثين فيما يختص بالتهادي الإلكتروني يتم بناءً على عدة من المعاني يراد التعبير عنها ونقلها للآخر(أقارب-أنسباء-أصدقاء-معارف-جمهور)، وتشمل الهدايا الإلكترونية كل ما يستخدمه الإنسان في عالمه الواقعي من أشياء مادية ورموز، يحولها بواسطة التكنولوجيا الرقمية إلى أشياء غير مادية(صور- فيديو-رموز تعبيرية...إلخ.) تحمل ذات المعنى المتعارف عليه ثقافيًا، ومن ثم تُسهم بدورها في نقل معنى، أو عدة من المعاني يراد إيصاله للمتلقي. والمعاني التي يضفيها

المبحوثون على الهدية الإلكترونية، أو ينسبوها لها منبثقة من التفاعل الاجتماعي بين أطراف عملية التهادي، ومن ثم فهي معان اجتماعية سواء أكانت في طبيعتها، أم كانت في مصدرها، أم كانت في العوامل المرتبطة بها مثل: المكانة، والأدوار الاجتماعية، والقيم الاجتماعية، والانتماءات الاجتماعية، وتتفاوت المعاني المختصة بالهدايا الإلكترونية من شخص لآخر، ومن ثم تختلف اتجاهات المبحوثين نحوها ومدى تقبلهم للمعاني التي تتضمنها وتفاعلهم معها، وفق عوامل تختص بالمستوى التعليمي والاجتماعي، ووفق ما ذكره "دينزين" فإن علاقات التهادي الإلكتروني الناشئة عن تفاعل الذات مع الآخر، ينشأ عنها سلوك اجتماعي مشترك تُتَبادل فيه الهدايا الكترونيًا بالمستويات نفسها(هدايا خالصة، وأخرى ملزمة)، والقواعد المعمول بها نفسها مثل: ارتباطها بالسلوك المتوقع، والمسافة الاجتماعية. وفيما يختص برؤية "مارسيل موس" عن التهادي التقليدي، ومدى توافر عنصر الإلزام في تسلم الهدية وردها، وتقديمها، والقواعد الثقافية المنظمة لهذه العلاقات، وما ذكره مالينوفسكي عن نظام التهادي التقليدي؛ وما يتضمنه من معان اجتماعية، وقيم ثقافية مستمدة من الواقع الثقافي والاجتماعي للشعوب، وما يعكسه هذا النظام من قيم المكانة والمسافة الاجتماعية، والحراك الاجتماعي، والدور الاجتماعي لعلاقات التهادي في بناء علاقات اجتماعية وروابط، وتحقيق التماسك الاجتماعي، في ضوء الرؤى السابقة تشكلت الرؤية الجديدة التي يتناولها البحث والتي تتلخص في أن التهادي الإلكتروني ما هو إلا مظهرًا مستحدثًا للتهادي التقليدي، وبناءً عليه فإن علاقات التهادي الإلكتروني امتدادًا لعلاقات التهادي التقليدي، ومظهرًا مستحدثًا لها، وهذا ما سوف أعرض لتفاصيله الدقيقة، ونتائجه المدعمة بدراسة ميدانية.

سادسًا- منهجية البحث

ا. الإطار الزمني؛ لقد أجري في الفترة من يونيو عام ٢٠١٦م وحتى مايو عام ٢٠١٧م، أي مدة عام كامل، بدأ بملاحظات حول واقع التهادي الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي، واستخدام الكثيرون له بشكل يدل على وجود دور لهذا النمط المستحدث من أنماط التهادي، ووجود قواعد منظمة لعلاقاته لابد من رصدها، وكشفها، وتلا ذلك قراءات في التراث النظري المتوفر حول التهادي التقليدي وعلاقاته والقواعد المنظمة له، والالتزامات الاجتماعية المختصة به، وأثناء هذه الفترة التي تقدر بحوالي ستة أشهر تم صياغة محاور البحث وموضوعات دليل العمل الميداني ووضع مخطط الدراسة الميدانية، أما الدراسة الميدانية المركزة فقد امتدت من سبتمبر ٢٠١٦م حتى إبريل ٢٠١٧م.

ب- طرق البحث وأدواته

اعتمد البحث على الطريقة الأنثروبولوجية، واعتمد التحليل الميداني على المنهج الوصفي والتحليلي الكيفي، وتمثلت وسائل جمع البيانات في طريقة الإثنوجرافيا الإلكترونيةcyber ethnography ؛ وهي طريقة حديثة نسبيًا في جمع المعلومات تشتمل على تطبيق أساليب الإثنوجرافيا التقليدية، والبحث الإثنوجرافيّ عبر عالم الاتصال الإلكترونيّ، وقد تطورت هذه الطريقة منذ شيوع استخدام شبكة الإنترنت، والإثنوجرافيا الإلكترونية، وقد تستخدم بوصفها موضوعًا للدراسة أو بوصفها وسيلة لجمع البيانات(١٢). كما اعتمد البحث على الملاحظة بالمشاركة؛ والمعايشة؛ عن طريق وجود حساب للباحثة على الفيسبوك منذ عام ٢٠١١م واستخدامه بكثافة خلال مدة الدراسة الميدانية المركزة التى اهتممت فيها بملاحظة ما يُنْشَر في الصفحات التي أنتمي إليها، والمجموعات الإلكترونية ، وكذلك ملاحظة أنماط عدة من السلوك الإنسانيّ التفاعليّ الرمزيّ، وما يتبادله رواد مواقع

التواصل الاجتماعي، ومستخدميه من أشياء ترمز إلى عدة من المعاني في مناسبات عدة حدثت في أثناء الدراسة الميدانية المركزة (أعياد ميلاد-رأس السنة الميلادية- عيد الحب- عيد الأم-عيد الفصح). وشكلت المقابلة أداة مهمة لجمع المعلومات، وقد اعتمدت الباحثة على نوعين من المقابلات؛ مقابلات جماعية مع مجموعة من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي (٥٠) من الشباب سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا في المرحلة الجامعية الأولى، كما أجريت مقابلات فردية مع (ست حالات)من المستخدمين في مراحل عمرية متباينة(الثلاثينيات-الأربعينيات-الخمسينيات) ووجهت الأسئلة بواسطة دليل عمل أعِدَّ مسبقًا وهو يتضمن موضوعات التقصي كافة فضلاً عما يستجد من موضوعات تختص بالبحث في أثناء المقابلات. وبعض المقابلات كانت لا تستغرق إلا وقتًا يسيرًا، وبعضها الآخر يمتد لأكثر من ساعتين. وكان استخدام الباحثة لكل من المقابلة والملاحظة بالمشاركة معتمدًا على مرجعية اثنوجرافية باطنية وظاهرية؛ emic and etic approach، ومن ثم كان الاهتمام في التحليل بعرض وجهة نظر المبحوثين من خلال المقابلات الفردية والجماعية، فضلا عن وجهة نظر الباحثة من خلال ملاحظة أنماط السلوك المختصة بموضوع البحث إما بشكل مباشر من خلال ملاحظة سلوك المبحوثين، أو عن طريق ملاحظة سلوكهم عبر صفحات التواصل الاجتماعي لاسيما فيسبوك.

ج- مجتمع البحث

مجتمع البحث عبارة عن مجموعة من الشباب في نهاية المرحلة الجامعية الأولى(٥٠) طالب وطالبة، فضلاً عن عدد (٦) حالات من فئات عمرية أعلى، كما سيوضح في خصائص المبحوثين.

خصائص المبحوثين؛ اختير المبحوثون بناءً على أسس عدة تختص بطبيعة الموضوع، وهي:

- مجموعة (ست حالات)من الفئة العمرية (الثلاثينيات-الأربعينيات-الخمسينيات) سواء أكانوا من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي بكثافة أم من المستخدمين العاديين.
- عدد (٥٠) من مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي من الشباب سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا في المرحلة الجامعية الأولى؛ إذ إن الشباب-في تقديري- هم أكثر الفئات استخدامًا لهذه الوسائل
- تنوع المستوى الاقتصاديّ والاجتماعيّ للمبحوثين.

سابعًا- الدراسة الأنثروبولوجية لتبادل الهدايا

عرف الإنسان التبادل منذ القدم؛ كما شهدت المجتمعات المختلفة أشكالاً عدة من المبادلات؛ بأشكالها: البسيطة، أو المعقدة، ويمكن القول أن أنماط المبادلة تنوعت بتنوع المجتمعات، وبتنوع مواردها، وحجم سكانها، وثقافاتها، ومدى التجانس بين أفرادها؛ ومن ثم نوع العلاقات التي تربط بينهم، كما قد يدمج المجتمع الواحد بين أنماط عدة من التبادل، ويشير قدم المبادلات، وتنوعها، وظهور أشكال معقدة منها إلى ما تحظى به المبادلات بين الناس من أهمية شديدة تدعم بقاء المجتمعات واستمرارها، عن طريق اسهامها في تقوية العلاقات الاجتماعية والروابط؛ ومن ثمَّ علاقات التضامن والتماسك الاجتماعيّ.

تثير ظاهرة التبادل بالنسبة للأنثروبولوجيا تساؤلات حول طبيعة تبادل الهدايا، ويركز علماء الأنثروبولوجيا على أنه في حين تبدو الهدايا طوعية، وغير مقصودة، وعفوية، فهي في الواقع إلزامية ومقصودة. ويسعى علماء الأنثروبولوجيا إلى فهم المبدأ الذي يجب أن تسدد به الهدية المتسلمة، وما الذي يجبر المتلقي على الرد؟ ومن الواضح أن التبادل يعني أشياء مختلفة جوهريا بالنسبة إلى للأشخاص المختلفين وأدت هذه التصورات

المتعارضة إلى عملية التبادل إلى تقاليد نظرية متميزة تمامًا. وبدأت الدراسات الأنثروبولوجية المهتمة بإعطاء الهدية(التهادي) لأول مرة في نهاية القرن التاسع عشر، وبحلول نهاية الحرب العالمية الأولى، جُمعت كمية كبيرة من البيانات. وجاءت أكثر الدراسات إثارة لهنود "كواكيوتل" Kwakiutl على الساحل الشماليّ الغربيّ لأمريكا، وسكان جزر ميلانيزيا بمنطقة خليج "ميلن" في "بابوا" غينيا الجديدة. فبالنسبة لكواكيوتل تُدَمَّر كميات هائلة من الممتلكات القيمة (لاسيما البطاطين) بطريقة احتفالية في نظام يسمى "بوتلاتش"؛ ففي نظام "بوتلاتش" ترتبط هيبة الفرد ارتباطًا وثيقًا بالعطاء: وسيتقيد "الكبير" أو "الرئيس" بالتخلي عن أو تدمير كل ما يمتلكه؛ فمبادئ التنافس والعداء أساسية لهذا النظام، والناس يتنافسون مع بعضهم؛ من أجل اكتساب الهيبة، ومكانة الأفراد والعشائر، ورتبهم تحددها حرب الممتلكات هذه. ففي بابوا غينيا الجديدة، بوصفها الموطن التقليديّ لتبادل الهدايا التنافسيّ، أدوات "حرب الهدية" هي الغذاء، والأصداف من مختلف الأشكال والأحجام، ولا تُدمر هذه الأشياء فقط بل يتم ذلك بواسطة الاتفاق بين طالبي المكانة وَفْقَ مجموعة معقدة من القواعد، ومعظم مجتمعات "بابوا غينيا الجديدة" ليس لها أي شكل من أشكال المكانة المنسوبةascribed status ، وتعني أيديولوجيا المساواة بالنسبة إلى هذه المجتمعات أن تقديم العطاءات التنافسية يتعلق في المقام الأول بالحفاظ على المركز المتساوي بدلًا من الهيمنة. كما أشار "فورج"، إلى أن البقاء على قدم المساواة، مهمة شاقة للغاية تتطلب اليقظة والجهد المستمرين؛ فمن المستحيل تحقيق التوازن المثالي؛ إذ إنَّ البعد الزمنيّ لتبادل الهدايا يقود بالضرورة إلى عدم المساواة في المكانة(١٣).

ويقصد بالتبادل مبادلة العمل، والموارد، والمنتجات، والخدمات داخل المجتمع، ولا تختص نظم التبادل باقتصاديات السوق في المجتمعات الصناعية فقط؛ إذ إن اقتصاديات السوق قد ظهرت حديثًا في تاريخ العالم ولاتزال قليلة العدد؛ فمعظم مجتمعات العالم تفتقر إلى اقتصاديات سوق متطور؛ ومن ثم يكون الحديث عن نظم التبادل أهم من الحديث عن التبادل السوقيّ. وقد ميز "كارل بولاني" بين ثلاثة أنماط للتبادل؛ التناوبreciprocity، وإعادة التوزيعredistribution، والتبادل السوقيّmarket exchange ، ويعبر الأول عن تبادل الهدية الملزم، والثاني-الدفع الملزم لأحد مراكز التخصيص، والثالث-البيع والشراء المرتكز على نظام السعر، وقد توجد هذه النظم جميعها داخل المجتمعات أو توجد بشكل منفرد(١٤).

إن أنماط التبادل، والموارد التي تتبادل؛ والمتمثلة في العمل، والسلع، والخدمات في المجتمع يمكن تحليلها من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الاقتصادية على ضوء الأنماط الثلاثة الرئيسة والمتكررة الحدوث التي حددها كارل بولاني" : التبادل التناوبي، وإعادة التوزيع، والتبادل السوقيّ. و تكون كل من هذه الأنماط متضمنة في نظم محددة داخل المجتمع بوصفها جزءًا لا يتجزأ من النسيج الاجتماعيّ. وقد اقترح "ساهلينز" نموذجًا لأنماط المبادلة بالمثل(التناوب) ووضع في إحدى نهاياته؛ حرية تقديم المساعدة، والتبادل اليوميّ المحدود بين من يرتبطون بعلاقات القرابة، والصداقة، والجوار ، وهذا ما أسماه "مالينوفسكي" الهدايا الخالصة؛ إذ يكون من غير المقبول اجتماعيًا التفكير في ردها. ووضع في الطرف الآخر الاستيلاء بالقوة، وفيما بين الهدايا الخالصة، والاستيلاء بالقوة يوجد أنماط من المبادلات متدرجة من حيث التوازن الماديّ، والمسافة الاجتماعية بين الأطراف(١٥).

ويشير المفهوم الأنثروبولوجيّ للتبادل إلى إقامة العلاقات بين الأشخاص، والمحافظة عليها، فلكي توجد العلاقات الاجتماعية يجب أن تُتَبادل بعض الأشياء، سواء أكان ذلك التبادل تبادلًا اتصاليًا بواسطة اللغة، أم تبادلًا اقتصاديا أم طقوسيًا للسلع، أم تبادلًا لشركاء العلاقة الزوجية(١٦).

وقد أخطأ كثير من العلماء في فهم طبيعة نظم التبادل(البوتلاتش-الكولا)(١٧)السائدة في المجتمعات التقليدية حين عُدوا نظمًا اقتصادية خالصة مثل تلك الموجودة في المجتمعات الحديثة؛ وتمثل هذا في دراسة "فرانس بواس" لنظام "البوتلاتش" وتحليله له تحليلاً اقتصاديًا بوصفه نوعًا من الإقراض الذي يعود على صاحبه بفوائد مرتفعة، وهذا فهم خاطئ؛ إذ إن "البوتلاتش" نظام اجتماعيّ، وشعائريّ يهدف إلى اكتساب مزيد من الشرف والسمعة الطيبة وذيوع الصيت عن طريق المنح والإعطاء، والمبالغة في الرد. فكان هذا النظام يشبع حاجة لدى الإنسان؛ للحصول على مزيد من السمعة وذيوع الصيت ليس فقط عن طريق إتلاف ممتلكاته بل عن طريق إحراج غيره من الناس وتدمير مركزهم الاجتماعيّ في أثناء حفل البوتلاتش إذا أخفقوا في السير معه إلى آخر الشوط، فالبوتلاتش إذن لعبة اجتماعية أكثر منها نظامًا اقتصاديًا على ما يقول "ليزلي هوايت" مؤكدًا أنه من الخطأ النظر إليها من الزاوية الاقتصادية البحتة، وإغفال الاعتبارات الاجتماعية التي تحيط بها والشعائر والطقوس وأنماط السلوك التي تلازم العمليات الاقتصادية الأخرى(١٨).

ويرى Davis, J أن العلماء قد اختلفوا في نظرتهم إلى دراسة التبادل، فحدد بعضهم دراسة التبادل فقط في تفاعل العرض والطلب والسعر في سوق السلع أو الخدمات، في حين يهتم بعضهم الآخر في دراسة التبادل بكل الأنشطة الإنتاجية والاستهلاكية بوصفها جزءًا من دراسة التبادل، وأن دراسة التبادل تمثل تسعة أعشار الدراسات الاقتصادية، وهناك من ينظر إلى السلوك الاجتماعي كله بوصفه تبادلًا، ويعد أن كل تفاعل اجتماعيّ ما هو إلا نوع من التبادل الاجتماعيّ(١٩). ويعد التبادل من الموضوعات المثيرة للانتباه لعدة من الأسباب؛ فالمبادلات وسائل يتم بواسطتها مرور الأشياء المفيدة من شخص لآخر، وهي وسيلة لابتداع التنظيم الاجتماعيّ والحفاظ عليه، كما تنظم المبادلات بواسطة الدين، والقانون، والتقليد، والعرف، وآداب المعاشرة، كما يتضمن التبادل بوصفه نظامًا يتسم بالعمومية جانبًا رمزيًا يرتبط بالأنشطة الأخرى(٢٠).

التبادل التناوبيّ Reciprocity : يعد التبادل الوديّ، أو رد الهدية، أو التهادي أحد الموضوعات المهمة في البحث الأنثروبولوجيّ منذ أن أوضح كل من "إميل دوركيم" و"مارسيل موس" أهمية التبادل في تنظيم الحياة الاجتماعية، فهو أساس التبادل التجاريّ، ويؤدي التبادل الودي وظيفة مهمة_سواء أكان بين الأشخاص أم بين الوحدات_ هي التوحيد بين أطرافه عن طريق خلق علاقة التبادل الذين هم شركاء فيها؛ ومن ثم يعد هذا النوع من التبادل وسيلة غاية في الملاءمة للتعبير عن العلاقات الاجتماعية والهوية الاجتماعية، كما تؤثر فيها، والتبادل الوديّ بوصفه أحد الأنماط الثلاثة للتبادل التناوبيّ يمثل متصلاً يرتبط بعوامل القرابة والمسافة الاجتماعية (٢١).

كما قد يعني التبادل بين المتكافئين اجتماعيًا، الذين عادة ما يرتبطون بروابط القرابة، والزواج، أو أية رابطة شخصية ودية أخرى، ولأن هذا النمط يحدث بين المتكافئين اجتماعيًا ، فيكون مهيمنًا في المجتمعات الأكثر مساواة؛ أي بين جامعي الطعام، والزراع، والرعاة.

وتوجد ثلاثة مستويات للتبادل التناوبيّ: العام، والمتوازن، والسلبيّ

١-التبادل التناوبيّ العامgeneralized reciprocity أنقى أشكال التبادل التناوبيّ، وهوممميز للتبادلات بين الأشخاص ذوي الصلة الوثيقة؛ ففيه يهب شخص ما شخصًا آخر، ولا يتوقع منه رد فوري، أو ملموس ؛ فمنح الهدايا بواسطة الوالدين لأطفالهم، لا يعبر عن مبادلات اقتصادية بل يُعد تعبيرًا عن علاقات شخصية؛ فمعظم الآباء لا يحسبون ما يُنْفق على أطفالهم، هم فقط يأملون أن يحترم هؤلاء الأطفال العادات المختصة بثقافتهم، وما تشتمل عليه من التزامات تجاه الوالدين مثل: الحب، والاحترام، والولاء.

٢-التبادل التناوبيّ المتوازنbalanced reciprocity، وينطبق على المبادلات بين أعضاء تزداد المسافة الاجتماعية بينهم مقارنة بأعضاء جماعة ما أو مسكن ما، وكذلك تزداد الحاجة الى التبادل بين أطرافه، ومثال لذلك حينما يهدي شخص ما في إحدى القري هدية لآخر ينتمي إلى قرية أخرى، وفي هذه الحالة قد يكون المتسلم ابن عمه، أوشريكًا تجاريًا، أو أحد الأنسباء، ويتوقع مقدم الهدية ردها بالمثل. وهذا الرد ربما لا يكون فوريًا؛ لذا سوف تكون العلاقة الاجتماعية معرضة للتوتر إذا لم يحدث رد بالمثل.

٣-التبادل التناوبيّ السلبيّ Negative reciprocity يعبر عن التبادلات العدائية بين الغرباء، وفيه تكون المسافة الاجتماعية بين أطراف التبادل أكبر من النمطين السابقين. فبالنسبة للناس الذين يرتبطون معًا بعلاقات شخصية قريبة تكون المبادلات مع الغرباء مليئة بالغموض وعدم الثقة، ويكون التبادل وسيلة لتأسيس علاقات ودية مع الأغراب، وحينما تبدأ علاقات التجارة فإنها تكون مؤقتة، ويتسم هذا التبادل بكونه اقتصاديًا صرفًا، وفيه يريد الناس الحصول على الرد في الحال؛ كما يحدث في اقتصاديات السوق ولكن من دون نقود، وهم يحاولون الحصول على أعلى عائد فوريّ ممكن من استثمارهم، ومن ثم يعتمد النمطان: الأول، والثاني على عنصري الثقة والرابطة الاجتماعية، أما النمط الثالث فيتضمن الخداع والغش(٢٢).

وأكد Sahlins "ساهلينز" في دراسته عن "الاقتصاديات البدائية" عام١٩٧٢م أهمية التبادل بالنسبة للعلاقات الاجتماعية، كما أكد المخطط السابق الذي يضم ثلاثة أنماط من التبادل التناوبيّ؛ يرتبط كل منها بالمسافة الاجتماعية، كما ربط بين هذه الأنماط وبين كل من البعد الأخلاقيّ، والتضامن الاجتماعيّ؛ فالنمط الأول يميز التفاعلات التي تتم بين الأقارب الأقربين، أو التي تتم داخل جماعة اجتماعية محدودة شديدة التآلف، والمعيار السائد فيه هو "الهبة المجانية" أو الاشتراك في الموارد من دون التزام بالرد؛ فالأقارب الأقربين يساعدون بعضهم بعضًا، ويتبادلون الطعام وغيره من السلع من دون انتظار الرد، ولا يوجد سوى التزام عام-أخلاقي وغير اقتصادي- بالرد أو المساعدة عند الحاجة، ويدعم هذا النمط التضامن الاجتماعيّ بشدة. والنمط الثاني أقل شخصية، وأقل اعتمادا على البعد الأخلاقي، وتزداد فيه المسافة الاجتماعية بين أطرافه، ويقترب من التبادل الاقتصادي، أما النمط الثالث فيتراوح من المساومة حتى السرقة، وهو أحد الأشكال المتطرفة من التبادل التناوبيّ، ويؤكد "ساهلينز" أن الأنماط الثلاثة تمثل متصلاً يرتبط بعوامل القرابة والمسافة الاجتماعية(٢٣).

ومن وجهة نظر E.Adamson Hoebel "آدمسون هوبل" يتكون التبادل التناوبيّ من التهادي المُلزم، وتبادل السلع والخدمات بين الأشخاص والجماعات؛ الذين يشغلون مكانات محددة داخل النسق الاجتماعي. وتبادل الهدية يتضمن تقديم الهدية في الكثير من

المجتمعات البدائية، ويحدث هذا في فترة الأزمات المهمة في دورة حياة الفرد، أو عند حدوث تغيير آخر في المكانة الشخصية له مثل الميلاد، والبلوغ، والزواج، والموت، أو الانضمام لجماعة ما، أو تسلم منصب ما، إذ تُوَجِّه انتباه الجمهور إلى الفرد بواسطة إعطاء الهدايا. وقد تركزت حفلات "البوتلاتش" الشهيرة لهنود الساحل الشماليّ الغربيّ بكل ما تشتمل عليه من نفقات ضخمة حول مثل هذه المناسبات؛ فالتبادلات التعاقدية مثل الزواج تستدعي مبادلات فورية بين الطرفين، وتمتد في كثير من الأحيان على مدى أشهر. وترمز الهدايا إلى الرابطة الاجتماعية بين مانح الهدية، ومتسلمها، كما تعكس الهدايا حالة العلاقات الاجتماعية، فضلاً عن مجموعة المشاعر على الرغم مما تتضمنه من جوانب اقتصادية بوصفها تعتمد على نشاط تجاريّ(٢٤).

الهدية في الفكر المعاصر:

ترى "إيريني موريل ساباتي" Muriel, Irene Sabaté أن الهدية الخالصة أشياء تمنح بحرية، ولا تبقى مع مانحوها، وينطوي تقديم الهدية على التزام متبادل بين المشتركين فيها؛ بسبب التبادلات المتكررة التي تجعل المشتركين فيها أقرب اجتماعيًا. قارن "جريجوري" عام ١٩٨٢م بين الاقتصاديات في كل من المجتمعات القائمة على النظام العشائريّ، وتلك القائمة على النظام الطبقيّ، وكان تبادل الهدايا بارزًا في النمط الأول، في حين اعتمد النوع الثاني على تداول السلع، وفي تفسيره نظرية "مارسيل موس" حدد "جريجوري" الهدايا بوصفها تبادل الأشياء غير القابلة للتصرف بين أشخاص تربط بينهم علاقات متبادلة، أما السلع فهي تبادل أشياء قابلة للتصرف بين أشخاص مستقلين؛ أي لا تربطهم علاقات، وقد أدى هذا التقسيم إلى مزيد من الثنائيات مثل: القابلية للتصرف، وعدم القابلية للتصرف، والتجسيد، والتشييء، والقيمة الاستعمالية، والقيمة التبادلية، وتبعية المتعاملين، واستقلاليتهم، والكم، والكيف، وتعظيم المصروفات، وتعظيم النواتج. وقد اعترف علماء الأنثروبولوجيا الكلاسيكية مثل: مالينوفسكي بأن تطبيق قاعدة المعاملة بالمثل(التبادل التناوبيّ) قاعدة تتسم بالعمومية، وبالغوا في الحديث عن المسافة بين الغرب الرأسمالي، وبين الاقتصاديات البدائية، ومع ذلك، لم ينكر علماء الأنثروبولوجيا أن المجتمعات التي شاهدوها تُبَادِل أحيانا الأشياء بطريقة متوازنة، وبتعويضات فورية، على الرغم من أنه لم يحدث إلا في ظروف محددة بدقة، ووصف "مالينوفسكي" نفسه ممارسات المقايضة بين سكان جزر التروبرياند Trobrianders بأنها هامشية، وتفتقر إلى المكانة الاجتماعية المنسوبة إلى أشكال التبادل الأخرى مثل "الكولا"، وبذلك يمكن القول إن التبادل الذي يشبه السوق سيكون ممارسة أقل انتشارًا توجد جنبًا إلى جنب بجوار تقديم الهدايا(التهادي). في ظل بعض الظروف التاريخية فقط ، ومع ازدهار الرأسمالية في القرن التاسع عشر في أوروبا وأمريكا الشمالية، أصبح الطموح الليبراليّ المهيمن هو وضع نظام للسوق ذاتيّ التنظيم، وأدى هذا إلى سيادة منطق السوق، كما أدى إلى ظهور اقتصاد السوق. وقد وُصِفَ بالفعل أصول هذا الانتشار غير المسبوق لحكم/نظام السوق بواسطة "ماركس" ، و"زيمل"، وآخرون. وقد اختلف تقييم نتائجه؛ من تدمير روابط التضامن الاجتماعيّ، وانسحاب الأخلاق، في مقابل تحقيق الحرية الفردية، ومستوى معيشة أفضل. وعلى الرغم من البروز الكبير لنظام تبادل الهدايا في المجتمعات ما قبل الرأسمالية، والتبادل السوقي في الغرب المعاصر، فقد أظهرت الكثير من الدراسات الإثنوجرافية ذلك السلوك المختص بمنح الهدية، جنبًا إلى جنب مع أنواع أخرى من المعاملات غير النقدية، ويمكن أيضًا أن تكتشف في سياقات الرأسمالية، ويبقى أن هذه الممارسات استراتيجية يومية رئيسة لكثير من الناس في الأطر القرابية. وقد ركز الباحثون اهتمامهم بشكل تقليديّ على

تبادل الهدايا بوصفه استراتيجية مختصة بالمهمشين الذين يواجهون الحواجز؛ للوصول إلى السوق والمال والاقتصاد الرسميّ. ومع ذلك، فمن الممكن للكشف عن أنماط منح الهدية(التهادي) في كل طبقة اجتماعية بالمجتمع. على سبيل المثال، فقد كان أيضا استراتيجية منتشرة في الاقتصاديات اليومية في ظل الاشتراكية وحتى بعد الانتقال إلى الرأسمالية. على الرغم من الاتجاه نحو المساواة بين الأشياء والسلع في المجتمعات المعاصرة، يؤكد Carrier "كاريير" ضرورة الاهتمام بوجود أشياء معينة، والاهتمام بعلاقتها بالناس الذين ينتجونها ، ويمتلكونها، ويستهلكونها، وهذا يعني أن وجود الأشياء في هياكل (أبنية) خاصة، بالإضافة إلى العناصر الاجتماعية هي عوامل مؤثرة في الاقتصاد. فانتشار الرأسمالية الصناعية لم يلغ حاجة الناس لامتلاك الأشياء، كما لم تلغ الحاجة إلى عقد صفقات بشأنها. ويفسر "كاريير" نموذج "مارسيل موس" بوصفه متصلاً بين علاقات السلع، وعلاقات الهدية؛ فالأولى غير شخصية وعابرة، والثانية شخصية وطويلة الأمد، ثم يؤكد "كاريير" تفضيل المجتمع الغربي لأيديولوجيا الهدية أو فكرها المستمد من الفصل بين المنزل والعمل، بوصفهما أمثلة نموذجية للمجالات الاجتماعية والاقتصادية، ونتيجة لهذا الفصل بُنِيَ نموذج غربيّ لمفهوم الهدية مختلف عن نموذج "موس"؛ إذ وصف تقديم الهدية بوصفه اختيارًا حرًا، ووسيلة للتعبير عن مشاعر المحبة الصادقة، وأنه فعل لا يستلزم الرد بالمثل. يشترك Kopytoff مع "أبادوراي" في التركيز على الأشياء المتداولة، كما لاحظ الحاجة إلى فهم السير الثقافية المختصة بالأشياء المتداولة؛ فالسلع يمكن العثور عليها عالميًا، كما قد سبق تعريفها وتحديدها قبل أن تُتَبَادل، كما تعتمد على وجود تكنولوجيا التبادل اللازمة، أما بالنسبة لعدم التسليعdecommodification فمن الممكن أن يحدث حينما توجد أشياء لا تقدر بثمن، وتكتسب نوعًا آخر من القيمة الثقافية مثل: كونها متفردة، أو مقدسة ثقافيًا(٢٥).

وتقديم الهدية في جمهورية الصين الشعبية، يعبر عن "اتصالات مادية"Materialized communication بواسطة المنتجات الفاخرة بوصفها فئة رئيسة من الهدايا؛ إذ تحظى العلامات التجارية الفاخرة الغربية بما في ذلك النبيذ الفاخر بشعبية بين المستهلكين الصينيين. وهي تستخدم بوصفها رموزًا للثروة والسلطة، مما يساعد على الحفاظ على الفرد وتحسين مظهره. بيد أنه بسبب الكثير من فضائح الفساد البارزة داخل الحزب الشيوعي، سنت الحكومة الصينية لوائح جديدة للحد من تقديم الهدايا بوصفها جزءًا من حملة ضد الفساد، وكانت العواقب كبيرة داخل قطاع النبيذ الفاخر؛ أدت إلى انخفاض في مبيعاته؛ ومن ثم ظهرت الحاجة إلى فهم أوضح لثقافة التهادي في الصين وتأثيراتها الاقتصادية في القطاع الصناعيّ (٢٦).

ثامنًا- واقع ثقافة التهادي الإلكتروني، وعلاقاته ما بين القبول والرفض

أ-تعريفات إجرائية:

المجتمع الافتراضي من وجهة نظر H. L. Rheingold "رينجولد" يشمل مجموعة من الناس، الذين لا يجتمع بعضهم البعض وجها لوجه، ويتبادلون الكلمات، والأفكار؛ بواسطة أنظمة الكمبيوتر وغيرها من الشبكات الرقمية(٢٧). وبناءً عليه يقصد بالتهادي الإلكتروني في هذا البحث "تقديم أشياء للآخرين، وتسلمها، وردها إلكترونيًا، بواسطة شبكات التواصل الاجتماعيّ، إما بطريقة اختيارية وإما بطريقة إلزامية، للتعبير عن

معاني رمزية عدة ؛ بهدف منح السرور للآخرين، أو الحصول عليه، أو اكتساب المزيد من الشهرة وذيوع الصيت، ودعم العلاقات الاجتماعية". هذه الأشياء تعد بمثابة هدية الكترونية/ افتراضية، ويقصد بالهدية الافتراضية في هذا البحث "تلك الأشياء التي تُمْنَح لشخص ما بوصفها هدية، ذات طبيعة معنوية؛ غير ملموسة، تتجسد في أشكال عدة مثل: رسالة نصية، أو صوتية، أو صورة ثابتة أو متحركة؛ ويشترط أن تعبر عن موقف التهادي، وتعكس عدة من المعاني الرمزية التي يرغب مقدم الهدية في إيصالها للمتسلم، وسوف أستخدم مصطلح التهادي الإلكتروني بالمعنى نفسه بوصفه مرادفًا للتهادي الافتراضيّ من وجهة النظر الشخصية .

ويتضح من الدراسة الميدانية إمكانية إضافة نمط آخر للتبادل التناوبيّ يمكن –إن صح التعبير- أن يسمى التبادل التناوبيّ الإلكترونيelectronic reciprocity والذي يعبر عن ظاهرة حديثة لتقديم الهدية لم تنل القدر الكاف من الاهتمام البحثي على الرغم مما يبدو من استخدامها بشكل مكثف في السنوات القليلة الماضية، وفي العديد من المناسبات سواء أكانت مختصة بدورة حياة الفرد(الميلاد، والزواج، والوفاة)، أم بالمناسبات الدينية والاجتماعية، أم ترقي الفرد في السلم الوظيفي، والاجتماعي، واكتسابه مكانات اجتماعية أو وظيفية جديدة.

ويتضمن التهادي الافتراضي عدة من المعاني الرمزية، مثل التعبير عن مشاعر المحبة، والامتنان، والعرفان، والتقدير، والاحترام، وهذا ما أزعم تسميته بالتهادي الافتراضيّ الوديّ، أما ما يمكن تسميته بالتبادل الافتراضيّ غير الوديّ؛ فيعبر عنه تبادل العبارات المسيئة والساخرة التي تستخدم للإساءة للآخر، والتقليل من شأنه، سواء أكان الآخر شخصًا محددًا ومعروفًا بالنسبة للمرسل، أم كان جماعة أو مجموعة تنتمي إلى تيار فكري أو سياسي معين، وجاء هذا التعبير على أساس أن التهادي في أساسه نوع من التبادل، فإذا كان "ساهلينز" قد قسم التبادل التناوبي إلى أنواع ثلاثة(عام، ومتوازن، وسلبي) فتبين من الدراسة الميدانية أن الأنواع الثلاثة تتم عبر شبكات التواصل الاجتماعيّ، فالنوع العام يبدو في عبارات التهنئة العامة التي تختص بمناسبات اجتماعية مثل: عيد الحب، وعيد الأم، أو تختص بمناسبات دينية مثل: الأعياد المسيحية، والإسلامية، وشهر رمضان، وتُوَجَه من عدد من المنتمين لصفحات التواصل الاجتماعيّ عامة مثل: (كل عام وأنتم بخير...عيد أضحي مبارك، كل عام وكل الأمهات بخير بمناسبة عيد الأم، كل عام وجميع الأحباء بخير بمناسبة عيد الحب، ...إلخ) ، ويتوقع المرسل أن يُرَد على ما نشره إما بالقبول والإعجاب في صورة(Like) وإما بالتعليق بعبارة تتضمن رد التهنئة والتمنيات الطيبة، ولا يتقيد هذا النوع بتكافؤ المكانة الاجتماعية، أو الوضع الاقتصاديّ بين الأطراف، كما لا يتقيد بوجود علاقات قرابة أو مصاهرة بين الأطراف، كما لا يشترط أن يرد عليه الكل فأي عدد قد يكون مرضيًا للشخص بنسبة ما، أما إذا نشر التهنئة على صفحة اليوميات لشخص محدد أو عدة من الأشخاص فيتوقع أن يردوا عليه بالمثل إما في الحال، وإما في وقت لاحق؛ حين يرون المنشور، وفي هذه الحالة إذا لم يتفاعل متسلم المنشور مع القائم بالنشر، فهذا يعد مؤشرًا لعدم استمرار العلاقة أو لإصابتها بالفتور، ويمثل هذا التبادل المتوازن، ويشترط في هذا النوع أن توجد علاقة قائمة بين الطرفين(قرابة-مصاهرة-عمل-جيرة) فيدعم استمرارها ويقويها ، كما قد يستهدف تعزيز علاقة جديدة ، أما التبادل السلبي فمن وجهة نظري يتمثل في تقديم منشورات على الصفحات الشخصية، ونشرها على العامة أو الأصدقاء، وهي تحوي عبارات تثير مشاعر سلبية لدى المتلقي، أو تقديم منشورات مقصودة لشخص بعينه من دون تحديد هويته تتضمن عبارات تسئ إلى الآخر، وتوجه له عبارات مثل: اللوم،

والتوبيخ، والسخرية، والسباب، والإهانة؛ بسبب خلافات شخصية، أو اختلاف وجهات النظر، أو في مجال العمل ، وقد يرد الآخر بدوره، كما قد يترفع عن الرد بعبارة مسيئة ويكتفي بحظر تسلم منشورات الشخص الذي يهينه وإنهاء العلاقة الإلكترونية الافتراضية، والحقيقية، أو تهميشها، ولذلك فالتبادل هنا والتواصل يتسم بالسلبية، فلم يقرب بين المتباعدين، ولم يدعم العلاقة الاجتماعية، بل أسهم في التباعد الاجتماعي، وأضعف العلاقة الاجتماعية بين أطرافه.

ب-استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في المبادلات الإلكترونية للهدية:

الرمز، عنصر من عناصر الاتصال، قد يمثل شخصًا أوشيئًا، أو جماعة أو فكرة، فيشير الصليب إلى الديانة المسيحية، والصليب الأحمر أو الهلال إلى الوكالات المحافظة على الحياة في البلدان المسيحية والإسلامية؛ وقد تتكون الرموز من حروف، أو تتعين بشكل تعسفيّ، كما هو الحال في الرمز الرياضي ∞ إلى ما لانهاية، أو الرمز $ إلى الدولار(٢٨). والرمز بالمعنى الواسع يعني أي فعل أو شيء يمثل شيئًا آخر. أما المعنى الخاص فيقصد به أصغر وحدات المعنى في المجالات الدلالية للشعائر أو الخرافة، وقد ذهب "كليفورد جيرتز" الأنثروبولوجيّ الأمريكيّ إلى أن السلوك الإنساني رمزي في الأساس؛ ومن ثم فهو محمل بالمعنى بالنسبة للفاعلين، ومهمة الباحث هي فهم "شبكة الدلالة" التي نسجها الناس بأنفسهم (٢٩).

وقد أكد غالبية المبحوثين أن شبكات التواصل الاجتماعيّ تستخدم بوصفها وسيلة للتبادل الرمزيّ الافتراضيّ للهدايا، فحينما يرسل شخص ما لآخر رسالة تحوي عبارة تهنئة بعيد ميلاد؛ ذات خلفية تضم صورة كعكة أو باقة من الزهور، أو البالونات الملونة، فهو يستهدف منحه مشاعر السرور، وتدعيم العلاقات الاجتماعية بين الطرفين، ويتوقع المرسل أن تلقى الرسالة بما تحمل من رموز رضا المتسلم، ويحدث الرضا عن طريق عدة مستويات أولها-الإعجاب Like وهو مستوى الرضا العاديّ، أما المستوى الأعلى فهو أن يدرج متسلم الرسالة تعليقًا يعبر فيه عن شكره وامتنانة من الراسل، كما يتوقع المرسل أن يحصل على رسالة تهنئة مماثلة في ذات المناسبة أو أقرب حدث له ويستوجب التهنئة. وأشار بعضهم إلى أنه يفعل ذلك، وليس بشكل دائم، ويتم ذلك تمهيدًا لتبادل الهدايا الحقيقيّ ولاسيما بين الأصدقاء والأقارب القريبين، وَفْق مدى وجود علاقة تهادي حقيقية، كما يعد منح الهدايا الرمزية وسيلة جيدة للتبادل الوديّ في حالات بعد المسافات المكانية بين المتبادلين؛ بسبب السفر، فكلما بعدت المسافات المكانية، وصَعُب التواصل المباشر كلما زادت قيمة هذه الوسيلة، والعكس صحيح. وأكد بعضهم أن هذا النوع من التبادل يعد وسيلة لتوسيع شبكة العلاقات الاجتماعية، في حين أكدت النسبة الأقل أن التبادل الوديّ عبر الشبكات الإلكترونية ليس له أية قيمة معترف بها ثقافيًا، وليس بديلا عن التبادل الماديّ الحقيقيّ، إذ يُعد استخدام هذه الوسيلة مهينًا ويعكس معنى عدم التقدير، ومن ثم يتضمن نوعًا من الإساءة إذا استخدم بين الأقارب القريبين، ولم يصحبة تواصل مباشر، وتهاد حقيقي؛ لأن هناك مشاعر لا يمكن التعبير عنها عبر شبكات التواصل الاجتماعيّ، وأن هذه الوسيلة تهدد بإضعاف العلاقات الاجتماعية، وإحداث فتور في العلاقات. ويعتقد مؤيدو التهادي الافتراضيّ انه يتسم بخصائص عدة تكسبه قدرًا من الأهمية منها ؛

- أنه وسيلة تتفق مع طبيعة عصر تكنولوجيا المعلومات، وأدواته.

- وجود شبكات التواصل الاجتماعيّ يسهم في تقريب المسافات بين كل من المرسل والمستقبل، عامة. كما تعد وسيلة جيدة بين الأصدقاء عبر الشبكات فقط ممن لا تربطهم علاقات مباشرة.
- توافر الأشياء التي تُتَبادل عبر شبكة الانترنت، وإمكانية اختيار الهدية بسهولة(صورة صورة+عبارة معدة مسبقًا-كروت معايدة-فيديو- إنفوجراف-رموز تعبيرية-عبارات معدة بواسطة المرسل، و...إلخ.) كما أن شكل الأشياء ومحتواها يتطور باستمرار.
- صعوبة تبادل الهدايا الحقيقي بسبب البعد المكانيّ، أو الظروف الاقتصادية، أو الانشغال بأمور الحياة والذي قد يحول دون التواصل الحقيقي والتبادل الحقيقي للهدايا في المناسبات المختلفة.
- سهولة إرسال الهدايا الرمزية، والتمكن من إرسالها في الوقت المناسب للمُهْدي، كما أنها غير مكلفة ماديًا، ويُعتقد أنها توصل رسالة تقترب من الشعور الحقيقي المراد إرساله للمهدى إليه، أي قد تدخل مشاعر السعادة والسرور إلى قلبه حتى وإن كان هذا الشعور مؤقتًا.

ج- المناسبات الاجتماعية التي يتم فيها التهادي الإلكترونيّ:

- مناسبات عالمية مثل عيد الحب Valentine's Day، وعيد الهالوين(الهلع)
- مناسبات مختصة بدورة الحياة؛ أعياد الميلاد(الخاصة بالأهل أو الأقارب، أو الأصدقاء)، الخطبة، والزواج(مبادلة عبارات التهنئة والمعبرة عن السعادة والتمنيات الطيبة)، المرض(مبادلة الدعوات بالشفاء)، والوفاة(مبادلة عبارات التعازي، والمواساة)، و... إلخ.
- مناسبات اجتماعية مثل: عيد الحب المصري، وعيد الأم، وشم النسيم، و... إلخ.
- مناسبات دينية مثل: أعياد المسيحيين(الكريسماس، وعيد القيامة، عيد الغطاس) وأعياد المسلمين(عيد الفطر-وعيد الأضحى)، ورأس السنة الهجرية، والإسراء والمعراج، وشهر رمضان، رحلات العمرة والحج.
- مناسبات أخرى؛ مثل: الحصول على فرصة عمل، والترقي في الوظائف، والنجاح في الدراسة، والحصول على شهادات دراسية(ابتدائية، واعدادية، وثانوية، وجامعية، وماجستير، ودكتوراة)، ومقابلة الأصدقاء بعد مدة طويلة

وأحيانًا يحدث من دون أي من المناسبات السابقة وفي إشارة إلى تبادل التمنيات الطيبة مع بداية يوم جديد، أو نهايته مثل: (جمعة مباركة، وصباح الورد، ومن القلب صباح الخير، وصباح الخير يا اسكندرية). ويتسم هذا النوع بأنه يحدث في المطلق وليس موجهًا لشخص بعينه، ومن دون انتظار للرد بشكل ملزم، كما يكون غير دائم، مع كونه مرتبطًا بالحالة المزاجية للشخص، إلا إذا وُجِّه لشخص بعينه؛ لينم عن مدى الاعتزاز به والامتنان له، ويتوقع أن يحصل على الرد في أي من أشكاله (عبارة تنم عن الرضا، أو صورة، أو أحد الرموز التعبيرية). يتبين من ذلك وجود ثبات فيما يختص بالمناسبات الاجتماعية التي يتم فيها التهادي التقليديّ أو الإلكترونيّ

د- طبيعة الهدية الإلكترونية والتقليدية:

تبين من الدراسة الميدانية أن الأشياء المتداولة قد سبق تعريفها وتحديدها ورفعها على شبكات المعلومات قبل أن تُتَبَادل، ومن ثم فهي متاحة ويمكن العثور عليها عالميًا عبر تلك الشبكات، كما تعتمد على وجود تكنولوجيا التبادل اللازمة، وهذه الأشياء لا تقدر بثمن،

بل تكتسب نوعًا آخر من القيمة الثقافية المتضمنة في مجموعة الرموز والمعاني التي تحملها الهدية الافتراضية، وبذلك فالأشياء التي تُتَبَادل بوصفها هدية رمزية، ذات طبيعة معنوية، غير مادية، ويتباين شكل الهدية ومحتواها من الصور والعبارات باختلاف موقف التهادي، فالهدية الموجهة لشخص بمناسبة عيد ميلاده تختلف عن الهدية المقدمة له بمناسبة عيد الأضحى، أو بمناسبة النجاح، أو الترقي في العمل، و...إلخ. وما أود تأكيده أن على الرغم من تنوع شكل الأشياء(شكل الهدية الإلكترونية) فالهدف واحد، ويرتبط استخدام أي من الأشياء الآتية بتوافر رأس مال معرفيّ، وبمدى قدرة المرسل على التعامل مع هذه الوسائل، ومهاراته في استخدام شبكة الإنترنت، والجدير بالذكر أن في كل مناسبة هناك بعض الأشياء والصور التي يكثر تداولها بين رواد الصفحات، بحيث تفقد جزءًا من بريقها عند تسلمها؛ ومن ثمَّ يسعي مرتادي الصفحات إلى البحث عن أحدث المنشورات وأحدث التطبيقات التي تستخدم للتعبير عن التهنئة بالمناسبات الاجتماعية والشخصية، ويمكن تحديدها في:

- مقاطع الفيديو، والرسوم المتحركة الجاهزة التي تعبر عن حالة الشخص واهتماماته، وعن المناسبة موضع التهنئة، وتمنياتة للمتلقي، أو لمجموعة المتلقين.
- رسائل صوتية، قد تكون جاهزة، ومُعدة مسبقًابواسطة غيرهم- خصيصًا لمناسبة ما، وقد تكون رسالة صوتية بصوت المرسل.
- رسائل نصية مكتوبة بواسطة المرسل تعبر عن مشاعره نحو المتلقي، أوكلمات بعض الأغاني، والعبارات المقتطعة من بعض الأفلام أو المسلسلات الشهيرة، وعبارات التهنئة الجاهزة التي تعبر عن المناسبة والعبارات المصورة التي تحوي الكلمات التي تروق للشخص، ورسائل نصية في غرف الدردشة
- منشورات على الصفحات الشخصية، أو على صفحات الأصدقاء؛ تحوي أيًا مما سبق...
- الصور وتشمل؛ الصور التي ترمز إلى تعبيرات الوجهemotions ، أو إلى مناسبة ما وتعبر عنها، صور ذكريات مشتركة تجمع بين الأصدقاء، صور أطعمة، ومأكولات، وحلويات، وبالونات، وورود،علب هدايا، وصور ممثلين، وصور هدية ترمز للمناسبة، مثل: صور الزهور والبيض الملون في عيد الربيع، وصور الخروف في عيد الأضحى، وصور القلوب الملونة باللون الأحمر أو الوردي، والزهور في عيد الحب، وصور بابا نويل في عيد الميلاد، والصور المعبرة عن سيدنا محمد وعبارات مدحه في ذكرى المولد النبوي الشريف، والإسراء والمعراج، و...إلخ. وترسل هذه الأشياء إما على الصفحة الشخصية للمهدى إليه، يراها العامة والأصدقاء لديه ، وإما في رسالة خاصة لا يراها غير المتسلم فقط. يتضح من ذلك أن إذا وُصِفت المناسبات التي يحدث فيها كل من التهادي التقليدي والإلكتروني بالثبات فإن الهدية الإلكترونية- كما اتضح من الأمثلة- اتسمت بالتغير في شكلها، وفي طبيعتها غير المادية على عكس الهدية التقليدية التي قد تكون في بعض الأحيان "مبلغًا من المال"، واتسمت الهدية الإلكترونية أيضًا بقدرتها على الوصول إلى المهدى إليه عن بعد، و...إلخ من عناصر التغير التي سيتم إيضاحها بالتفصيل في نتائج البحث.

ه- شروط حدوث التهادي الإلكتروني، والتقليدي:

فيما يختص بشروط حدوث التهادي الافتراضي؛ فيتطلب شروطًا عدة منها:

- وجود مناسبة اجتماعية أو شخصية ترتبط بتقديم الهدايا

- أن يتوافر لدى أطراف التهادي التكنولوجيا اللازمة وتطبيقات التواصل الاجتماعيّ، واتصال بشبكة الإنترنت.
- توافر المعرفة اللازمة لاستخدام التكنولوجيا؛ ومن ثم البحث عن الهدية المناسبة للحدث عبر الوسائل المتاحة إلكترونيًا.
- وجود علاقة اجتماعية بين أطراف التبادل سواء أكانت سطحية، أم كانت عميقة.

تبين من الدراسة الميدانية أن عناصر الثبات والتغير تتضح في شروط حدوث التهادي؛ فالشرط الأول المتمثل في وجود مناسبة اجتماعية أو شخصية ترتبط بتقديم الهدايا، والشرط الرابع المتمثل في وجود علاقة اجتماعية بين أطراف التبادل سواء أكانت سطحية، أم كانت عميقة من الشروط الثابتة التي لا يحدث من دونها أي من أنماط التهادي أما فيما يختص بالشرطين الثاني والثالث فيتضح فيهما عنصر التغير؛ فهما مختصان فقط بالتهادي الإلكتروني، كما توجد شروط أخرى للتهادي التقليدي منها ضرورة توافر المال اللازم لشراء الهدية، ومعرفة بسيطة بأذواق المهدى إليهم، وترتيب موعد لشراء الهدية وآخر لتقديمها، . وبناءً عليه يستخدم التهادي الإلكتروني بشكل أكبر بين من تتوافر لديهم الشروط الأربعة السابقة، كما تعد فئة الشباب من الجنسين الأكثر استخدامًا لمثل هذه الوسائل، وهي ملائمة أكثر لنمط العلاقات الافتراضية التى تتم عن بعد، وتتسم بالسطحية، والتي نادرًا ما تتطور لعلاقات حقيقية. تبين من الدراسة الميدانية أن عناصر الثبات والتغير تتضح في شروط حدوث التهادي، فالشرط الأول المتمثل في وجود مناسبة اجتماعية أو شخصية ترتبط بتقديم الهدايا، والشرط الرابع المتمثل في وجود علاقة اجتماعية بين أطراف التبادل سواء أكانت سطحية، أم كانت عميقة من الشروط الثابتة التي لا يحدث من دونها أي من أنماط التهادي أما فيما يختص بالشرطين الثاني والثالث، فهما من الشروط المختصة بالتهادي الإلكتروني، كما توجد شروط أخرى للتهادي التقليدي منها ضرورة توافر المال اللازم لشراء الهدية، ومعرفة بسيطة بأذواق المهدى إليهم.

و-علاقات التهادي الإلكترونيّ والتقليدي وارتباطها ببعض المتغيرات

والمكانة تعني في أبسط معانيها الوضع الذي يشغله الفرد في البناء الاجتماعيّ، مثل: المدرس أو رجل الدين، وكثيرًا ما يرتبط بفكرة الدور الاجتماعيّ، أما معناها الأقوى فيشير إلى شكل من أشكال التدرج الطبقيّ الاجتماعيّ؛ إذ ترتب جماعات المكانة وتنظم وَفْقَ بعض المعايير: القانونية، والسياسية، والثقافية[٣٠]. وتختلف الأسس التي تقوم عليها المكانة من مجتمع لآخر، ومن عصر لآخر في المجتمع نفسه، وقد تقوم على التفاوت في المولد(كما في نظام الطوائف بالهند)، أو الثروة، أو المهنة، أو القوة السياسية، وغالبًا ما تتحدد المكانة؛ نتيجة وجود أكثر من عامل[٣١]. والمكانة الاجتماعية Social Status في دائرة المعارف البريطانية تعني؛ المرتبة النسبية التي يحملها الفرد، والحقوق المصاحبة لها، والواجبات، ونمط الحياة، في تسلسل هرميّ اجتماعيّ معتمدًا على أساس الشرف أو الهيبة. ويمكن أن تكون المكانة منسوبةAscribed _أي تنسب للأفراد عند الميلاد، ومن دون الإشارة إلى أي قدرات فطرية - أو تكون مكتسبة؛ تتطلب صفات خاصة وتُكتسبت عن طريق المنافسة والجهد الفردي. وعادة ما تستند المكانة المنسوبة إلى الجنس أو العمر أو السلالة، أو العلاقات الأسرية، أو الميلاد، في حين تستند المكانة المكتسبة إلى التعليم أو المهنة أو الحالة الاجتماعية أو الإنجازات أو عوامل أخرى[٣٢]. عرف "فيبر" عام ١٩٢٢م وضع المكانة بأنه "المطالبة الفاعلة بالتقدير الاجتماعيّ". وهذه الأوضاع المتصلة بالمكانة تضفي على أصحابها امتيازات إيجابية، وجوانب سلبية، وتقوم المكانة على اتباع أسلوب معيشة معين،

ويعتمد على تدريب منظم، ويُعَبَّر عن المكانة والحفاظ عليها عن طريق ممارسات الاستبعاد مثل: الزواج، والعادات، والأعراف، والترتيبات المعيشية المشتركة. ويشكل مجموع الأشخاص ذوي الوضع والمكانة المشتركة جماعة مكانة، تحظى بتقدير متماثل(٣٣). الدور Role هو السلوك المتوقع من الفرد الذي يشغل مركزًا اجتماعيًا أو وضعًا معينًا، ويعبر الدور عن نمط شامل من السلوك المعترف به، والمنظم اجتماعيًا، ويوفر وسيلة؛ لتعيين الفرد، ووضعه في المجتمع. وهو أيضا يعد استراتيجية للتعامل مع المواقف المتكررة والتعامل مع أدوار الآخرين (مثل الأدوار بين الوالدين والطفل). والمصطلح مستعار من الاستخدام المسرحي. يبقى الدور مستقرًا نسبيًا على الرغم من أن الأشخاص الذين يشغلون هذا المنصب مختلفين، كما يرتبط الدور بالسلوك المتوقع(٣٤). ويقصد بالمسافة الاجتماعيةSocial Distance أو البعد الاجتماعيّ؛ التحفظ في إبداء الود لدى بعض الأفراد والجماعات بتأثير الاختلافات الثقافية، أو الاقتصادية، أو الدينية، أو غيرها(٣٥). كما تشير إلى التشابه أو القرب المستند إلى متغيرات أو شبكات اجتماعية، كما هو الحال في الحراك المهنيّ، أو "مقياس بوجاردس" لقياس المسافة الاجتماعية والذي يعتمد على مدى استعداد جماعات عرقية أو سلالية معينة للسماح بوجود درجات من التقارب أو الألفة فيما بينها(٣٦).

وفيما يختص بمعرفة العلاقات الاجتماعية بين أطراف التبادل وارتباطها بالمكانات الاجتماعية، والأدوار تبين من الدراسة الميدانية أنه لابد من وجود علاقة اجتماعية ما بين الأشخاص الذين يتبادلون الهدايا الرمزية عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ في المناسبات المشار إليه، ولا يشترط أن تكون العلاقة عميقة، فمن الممكن أن تُتَبادل الهدايا الرمزية بين الأصدقاء الذين تعارفوا عن بعد بواسطة الشبكات الإلكترونية، ومن دون أن يلتقوا بشكل حقيقيّ. وقد يقتصر تبادل الهدايا على الشكل الرمزيّ أو قد يكون التبادل الرمزيّ مقدمة للتبادل الفعليّ والحقيقيّ للهدايا، وكلما زادت المسافة الاجتماعية بين الأشخاص اقتصر التهادي على الشكل الرمزي، وكلما قويت العلاقة الاجتماعية بينهم كان التهادي الرمزيّ ممهدًا للتبادل الحقيقي، وداعمًا له؛ ومن ثم داعمًا للعلاقة الاجتماعية القائمة. وتتباين العلاقات بين أطراف التهادي الرمزيّ؛ من حيث البساطة أو التشابك، كما تتفاوت في قوتها، أو ضعفها، وفي الأحوال كافة قد يرتبط أطراف التبادل بعلاقات قرابية بمختلف درجاتها، أو بعلاقات عمل، أو دراسة، أوصداقة، أو نوعين أو أكثر من العلاقات.

ويتباين محتوى الرموز بتباين المكانات والمراكز التي يشغلها الأفراد، فتتبادل رموز وعبارات تنم عن علاقات تتسم بالرسمية، وأخرى تتسم بالودية. كما قد تكون علاقات التهادي الإلكتروني امتدادًا للعلاقات الحقيقية نفسها، وتتسم بالتعقيد نفسة الذي يتسم به التهادي الحقيقي، وعلى الرغم من انتشار استخدامه بين عدة من المستخدمين، ولاسيما الشباب من الجنسين فإنه_بالنسبة للأقارب القريبين، والأصدقاء المقربين_ لا يعد بديلًا مرضيًا للتهادي الحقيقي، ويعكس ضعف التقدير للمُهْدَى إليه؛ وعلى الرغم مما ينطوي عليه من مشاعر إيجابية تدخل السرور والسعادة وتنشر المحبة بين الناس، فالتهادي الرمزي غير المصحوب بالتهادي الحقيقي يعكس اتساع المسافة الاجتماعية بين الأطراف، كما يعكس سطحية العلاقة الاجتماعية بينهم. وفي بعض الأحيان يكون بديلاً جيدًا جدًا للتهادي الحقيقي، ووسيلة لتقوية أواصر المحبة والود بين الأقارب والأصدقاء المتباعدين مكانيًا. ويرى بعضهم أن علاقات التهادي الرمزيّ عبر وسائل التواصل الاجتماعيّ وإظهار مشاعر الود بين أشخاص معينين ونشرها قد ينبئ بتهديد علاقاتهم مع أشخاص آخرين، ولاسيما إن كانوا

مختلفين سياسيًا أو اجتماعيًا، أو في مجال العمل؛ ومن ثم يحتفظ الكثيرون بعلاقاتهم الودية بعيدًا عن الآخرين حتى لا تتهدد مصالحهم؛ ولذا يمكن القول إن علاقات التهادي الحقيقية، وعلاقات الود القوية نادرًا ما تبقى بعيدًا عن مواقع التواصل الاجتماعي، بل يجب أن تكون كذلك.

ز- تأثير الهدية الإلكترونية والتقليدية

تباينت الآراء فيما يختص بتأثير الهدية الرمزية الافتراضية في أطرفها؛ فبعضهم(لا ماديون) يميلون إلى تبني اتجاهًا معنويًا، ويرون أن قيمة الهدية ليست في تكلفتها المادية، بل فيما ترمز إليه من مشاعر إيجابية مثل: الحب، والتقدير، والاهتمام، ومن ثم فالرموز التي تحملها الهدية الافتراضية والمعاني الكثيرة التي تتضمنها قد تكافئ في تأثيرها الهدية الحقيقية التقليدية، وأنه على الرغم من بساطتها، وكونها غير مكلفة ماديًا، ولا تستلزم بذل جهد كبير؛ فهي تحمل عدة من المعاني الرمزية الإيجابية، ويزداد تأثيرها الإيجابيّ بين الأقارب القريبين والأصدقاء المقربين الذين تبعدهم المسافات وتحول بينهم وبين التهادي الحقيقيّ التقليدي في الوقت المناسب لموقف التهادي. وبعضهم الآخر يمثلون اتجاهًا ماديًا يرون عكس ذلك تمامًا، وأنها قد تُشْعر المتسلم بمشاعر إيجابية مثل: البهجة، والسعادة، والسرور؛ بسبب ما تحمله الهدية من مشاعر التقدير، والمحبة، والود تجاهه، ولكن هذه المشاعر مؤقتة، لا يمكن مقارنتها بمشاعر السعادة الناجمة عن التهادي الحقيقيّ الذي يستلزم دفع المال، وبذل الجهد في انتقاء الهدية والاتصال المباشر بين أطرافها، ومن ثم يعكس مدى تقدير المُهْدي للمُهْدى إليه، فالتهادي الحقيقي التقليدي يدعم العلاقات بشكل أقوى؛ إذ إن الهدية المادية التقليدية قد تستمر بحوزة الشخص فترة طويلة من الزمن بالمقارنة بالهدية الإلكترونية، ويرى بعضهم أن الأولى تدعم العلاقات القوية، والثانية تعزز العلاقات السطحية، غير العميقة. أما بالنسبة للمُرسل، فقد تشعره بالسعادة، والفخر لمشاركته في إسعاد الأشخاص الذين يحبهم؛ ومن ثم يتوقع منهم مشاركته في مناسبات التهادي ومواقفه، ومن ثم يختبر مدى التقدير الاجتماعي الذي يحظى به. أو يمارسها بوصفها أداء واجب، والتزامًا اجتماعيًا؛ فيشعر بالإنجاز. وما أو تأكيده أن مقولة: "تهادوا تحابوا" التي تعزز التهادي؛ بسبب تأثيره في نشر المحبة بين الناس تنطبق على نوعي التهادي: التقليدي، والإلكتروني.

ح- القواعد الاجتماعية والثقافية المنظمة لعلاقات التهادي الإلكتروني

يرى غالبية المبحوثين من الشباب أن التهادي الإلكتروني عبر وسائل التواصل الاجتماعي سلوك ترفيهي، وغير مخطط، ولا يرتبط بأية قواعد اجتماعية وثقافية، في حين يرى بعضهم الآخر عكس ذلك تمامًا، فهناك ضوابط تحكمه، وقواعد منبثقة من الثقافة المجتمعية وما تتضمنه من تراث مادي، وغير مادي يتضح في العادات والتقاليد والمعتقدات، وفي التكنولوجيا بشقيها: المادي والبرامجي. وبناءً عليه فهناك قواعد تكنولوجية ومستلزمات، وضوابط اجتماعية وثقافية تتمثل في

-وجود علاقة اجتماعية، أو معرفة مسبقة بين طرفي التهادي، قد تتسم بالقوة(الآباء والأبناء، والأقارب القريبين، والأصدقاء) أو السطحية(المعارف، وأصدقاء الأصدقاء) أو الرسمية (زملاء العمل، وزملاء الدراسة)

-أن تتسم العلاقة بدرجة ما من درجات الود والحميمية علاقة قرابة، وصداقة، وعلاقة زمالة ودية

-أن توجد مناسبة خاصة أو اجتماعية تخص أي من أطراف التهادي

-أن يتم اختيار محتوى الهدية وما يتضمنه من رموز ومعان بحيث تتفق مع كل من: طبيعة موقف التبادل ومناسبته، المسافة الاجتماعية بين أطراف التهادي، وكذلك نوع المتهادين(ذكر-أنثى)، والمرحلة العمرية لهم، فمحتوى الهدية الموجهة للوالدين يختلف عن الأصدقاء، ويختلف عن الزملاء، كما يختلف فيما بين الذكور والإناث،

-لا يتم التهادي الافتراضي بين الأغراب وممن لا تربطهم أية علاقة اجتماعية؛ إذ قد يُساء تفسير هذا ثقافيًا؛ فزملاء الدراسة من الشباب الذكور لا يتبادلون التهنئة مع الإناث في عيد الحب بشكل خاص، وكذلك في أعياد الميلاد الشخصية، تمشيًا مع علاقات التحاشي التي تفرضها الثقافة على علاقات الشباب في مثل هذه المرحلة العمرية.

-التهادي الافتراضي يستلزم رد الهدية افتراضيًا إما في صورة شكر وامتنان، وتبادل للتهنئة بهدية أخرى من النوع نفسه (صورة بصورة، صورة بفيديو، صورة بعبارات وكلمات) وإن لم يتم الرد بأي من الطرق المتعارف إليها يعد هذا عدم اكتراث للعلاقة وقد يهمشها، ويسطحها.

تاسعًا- نتائج البحث؛ علاقات التهادي ما بين الثبات والتغير

حدد "كونراد فيليب كوتاك" ثلاثة ميكانيزمات للتغير الثقافى؛ الانتشار الثقافي، والاكتساب الثقافي، والاختراع[٣٧] . ويرى "ويليام هافيلاند" أن الاختراع هو المصدر الأساسى لكل التغيرات، ووضعه فى مقدمة ميكانيزمات التغير الثقافى وذكر أن الاختراع يتضمن أى ممارسة، أو أداة، أو مبدأ جديد يلقى قبولاً واسعًا داخل الجماعة، وقد يتم اختراع الأشياء؛ لتحقيق هدف واحد لكنها تخدم أهدافًا أخرى عدة لا ترتبط بالهدف الأساسي الذى أنشئت من أجله، كما أكد مجموعة من الباحثين بجامعة "ليفربول" فى بريطانيا ان الناس يستخدمون التلفونات المحمولة بوصفها أدوات عرض؛ إذ يعرضون عن طريقها على النساء مكانتهم ورغبتهم فى عقد صداقات معهم، وليس هذا _ بلاشك _ الهدف الأساسى الذى اخترع من أجله الهاتف المحمول [٣٨] .

واتضح من الدراسة الميدانية تأكيد رؤى كل من "كونراد فيليب كوتاك"، و"ويليام هافيلاند" حول التغير الثقافي وميكانيزماته، فالاختراع هنا، وتحديدًا الإنترنت، وبرامج التواصل الاجتماعي_التي تلقى قبولا واسعًا داخل المجتمع يومًا بعد آخر_ لم يكن هدفها بالأساس إنشاء وسيلة للتهادي بين البشر، بل إن البشر هم من ابتكروا هذا الاستخدام لتلبية حاجة إنسانية ملحة للتواصل عن بعد بوصفه بديلاً مؤقتًا للتواصل الحقيقي، ومن ثم يؤكد هذا استمرار الإنسان في استخدام التكنولوجيا بطرق تحقق له أهدافه المتزايدة باستمرار.

ويمكن القول هنا أن العوامل التي أدت إلى الثبات هي ارتباط المناسبات الاجتماعية التي يحدث فيها التهادي بالثقافة المجتمعية والأحداث المهمة والقومية بشكل عام ولاسيما العادات والتقاليد المختصة بدورة الحياة مثل (الميلاد-الزواج)، وكذلك ارتباطها بالدين- بوصفه من جوانب الثقافة غير المادية التي تتسم بالثبات النسبي- إذ تحدد كل ديانة مناسباتها الخاصة التي توجب التهادي، وتبادل التهاني، أما العوامل التي أدت إلى التغير فتمثلت في اتساع نطاق استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وارتباطها بحدوث انتشار ثقافي واسع النطاق عبر شبكات التواصل الاجتماعي، ومن ثم اكتساب عادات جديدة وأساليب جديدة في ممارسة العادات؛ ولاسيما إذا كانت الأساليب الجديدة تلقى قبولاً من المستخدمين، وتلبي حاجة ما لديهم.

وتبين من الدراسة الميدانية أنه إذا كان التهادي بالمعنى التقليدي يعبر عن عملية ثقافية ذات ارتباطات سسيو اقتصادية، فإن التهادي الإلكتروني المعني به البحث يعبر عن عملية ثقافية بالدرجة الأولي، في طبيعتها، وقواعدها، ورمزيتها، وعلى الرغم من ارتباطها

ببعض العوامل الاقتصادية(تكلفة اقتناء الأدوات التكنولوجية، ورسوم شبكة الإنترنت) فإنه لا يمكن مقارنتها بالعوامل الاقتصادية المتضمنة في علاقات التهادي التقليدية، كما أن الهدية التقليدية تقدم لشخص واحد ولمرة واحدة، أما الهدية الإلكترونية فيمكن أن تقدم لأكثر من شخص، ولعشرات المرات، إن لم يكن أكثر. يختص عنصر التغير بابتكار وسيلة لتبادل التهاني والهدايا الكترونيًا ؛ طريقة مبتكرة، ارتبطت باختراع الحاسب الآلي وشبكة الانترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، فقبل وجود هذه الأشياء والأدوات الاتصالية لم يعرف مجتمعنا هذه الطريقة في تقديم الهدية وتسلمها وردها؛ ومن ثم أزعم أن تختفي هذه الطريقة إذا اهتدى الإنسان إلى طريقة أخرى أسهل وأسرع.

وأهم عناصر الثبات هنا في قواعد التهادي، ومناسباتها، وطبيعة العلاقات القائمة بين أطراف التهادي، وتأثير الهدية في نشر المحبة بين الناس؛ فنظام التهادي وعلاقاته ثابت نسبيًا، وما يتغير هو الأشخاص الذين ينضمون إلى هذا النظام على مر الأجيال، كما يتغير شكل الهدية وطريقة تقديمها. هذا فضلا عن استمرار التهاديّ الحقيقيّ؛ فهو الأصل في علاقات التهادي، والتهادي الالكترونيّ ليس سوى شكل من أشكال تقديم الهدية يمكن مقارنته بطريقة إرسال كروت المعايدة التي سادت في الماضي، وليس بديلًا مرضيًا بأي حال من الأحوال عن التهادي التقليديّ.

وفيما يلي سوف أعرض لأهم نتائج الدراسة الميدانية وحاولت أن يتضمن العرض_قدر الإمكان_ بعض أوجه المقارنة بين علاقات التهادي التقليدية والإلكترونية، وتوضيح عوامل الثبات في علاقات التهادي الإلكترونيّ، وعوامل التغير؛ إذ إن تناول علاقات التهادي التقليدية في التراث النظري لن يضيف جديدًا لأن تلك القواعد المختصة بها محفورة في الأذهان ومعروفة للجميع.

- التهادي الإلكتروني الوديّ هو مرآة المجتمع، ومرآة الثقافة؛ إذ يعكس هذا النمط من التهادي الثقافة المجتمعية بما تشتمل عليه من عادات، وتقاليد راسخة؛ فجانب من عاداتنا وتقاليدنا تتجسد أمام أعيننا عبر الشبكات الاجتماعية.
- توجد علاقات التهادي في أنماط المجتمعات كافة، وفي كل مجتمع تتخذ مظهرًا معينًا، وفي عصر استخدامات تكنولوجيا المعلومات عامة، ولاسيما تكنولوجيا التواصل الاجتماعي اتخذت الهدية مظهرًا جديدًا، وشكلاً خاصًا يوجد جنبًا إلى جنب أشكال التهادي التقليدي، ممهدًا لها، ومكملاً، وداعمًا
- أبرز عوامل التغير أن الهدية الإلكترونية على عكس الهدية التقليدية، ذات طبيعة غير مادية وتحمل عدة من الرموز ثقافية، والمعاني الكثيرة
- يعتمد استخدام التهادي الإلكتروني على رأسمال معرفيّ ومهاريّ لدى أطراف التبادل، كما يعتمد على تراث ثقافيّ ماديّ(التكنولوجيا بشقيها الماديّ وغير الماديّ) ، وغير ماديّ(مجموعة الرموز ودلالاتها-عادات وتقاليد وقيم انسانية). أما التهاديّ التقليديّ فيعتمد على رأسمال مادي(نقود-هدايا عينية) بالدرجة الأولى
- التهادي الإلكتروني الإيجابي يدعم رأس المال الاجتماعي بين المتقاربين والمتباعدين على السواء، والعكس صحيح
- ان التهادي الإلكتروني لم يلغ حاجة الناس للتبادل والتهاديّ بالمعنى التقليديّ، والمتعارف إليه، بل يدعمه، ويمهد له، فقد يرسل شخص ما لرفيقه هدية إلكترونية مصحوبة بعبارة تهنئة بعيد ميلاده في اليوم نفسه، ويؤجل تقديم الهدية الحقيقية لوقت آخر، فيكون التهاديّ الإلكترونيّ وسيلة لدعم العلاقات الاجتماعية القائمة

- إن نمط التهادي الإلكتروني يتم سواء أكان بين الأقارب والأصدقاء أم كان بين عامة الناس، أي بين المتصلين بعلاقات شخصية، أو غير شخصية وهذا على عكس التهادي الحقيقي، كما يعد وسيلة مناسبة وفاعلة للاحتفاظ بعلاقات سطحية مع أصدقاء افتراضيين.
- التهادي الإلكتروني سلاح ذو حدين؛ فبالقدر الذي يعزز به العلاقات الإنسانية ويقويها، فقد يضعفها ويهدمها؛ فقد يدعم أواصر العلاقات الإلكترونية بين المستخدمين؛ سواء أ من الأقارب أم من الأصدقاء، أم من عوام الناس؛ إذ يُسهم في نشر المحبة، والود بين الناس، كما قد يهدم العلاقات إذا استخدم في تصفية الحسابات وتبادل عبارات التهكم والسخرية الفجة من الآخر، وأحيانًا السباب سواء أكان هذا بشكل شخصي بين أفراد تربط بينهم علاقة اجتماعية من نوع ما (قرابة، أو نسب، أو عمل، أو دراسة، أو...إلخ.) أم كان بشكل غير شخصي يتعلق بآراء سياسية، أو انتماءات دينية، أو حتى رياضية.
- وفيما يختص بالتهادي الإلكتروني في علاقته بأنماط التهادي الحقيقية، وما ذكره "مارسيل موس" عن الهدايا الملزمة، وبمقارنته بأنماط التبادل التناوبي التي ذكرها "ساهلينز" فيمكن توضيح الآتي؛ فيتضمن التهادي الإلكتروني وفق ما ذكره "مارسيل موس" ثلاث عمليات؛ منح الهدية، وتسلمها، والالتزام بالرد الفوري (تقديم الشكر، أو التعبير عن الإعجاب)، أو الرد مؤجلاً في المناسبات المماثلة، كل هذا على ضوء قواعد غير مكتوبة، بل متفق عليها اجتماعيًا ومستمدة من قواعد ثقافة التهادي الحقيقيّ وعلاقاته، وشروطه والتزاماته، كما يرتبط التهادي الإلكتروني بالمسافة الاجتماعية، والمرحلة العمرية، والسلوك المتوقع؛ فالصغير عليه أن يبادر بتقديم الهدية للكبير، وصاحب المكانة الاجتماعية الأعلى يتوقع من صاحب المكانة الأقل أن يقدم له هدية، وتتوقع الأم أن تحصل على هدية من الأبناء، ويتوقع ممن يتسلم هدية الكترونية أن يرد الهدية في صورة عبارة شكر، كما يلتزم أدبيًا بتوجيه التهنئة في المناسبات المشابهة، وتزداد أهمية التهادي الإلكتروني كلما زادت المسافة المكانية بين أطراف التبادل. وبالنسبة للبعد الشخصي، والعلاقة بين أطراف التهادي الافتراضي قد تكون شخصية أو غير شخصية، كما أن مناسبات التهادي قد تكون شخصية أو غير شخصية. ويتضح البعد الأخلاقي في الالتزام برد الهدية وتوجيه الشكر لمقدمها، أما البعد القرابي، فيتضح في حدوث التهادي الإلكتروني بين الأقارب ممن تربطهم علاقة قوية وغالبًا ما يكون مدعومًا بتبادل هدايا حقيقي. وتختفي المساومة في التهادي الإلكتروني، كما يختفي بعد الثقة، ومن ثم لا يتم التهادي إلا بين أشخاص معروفين بالنسبة لبعضهم، ويرتبط التهادي الافتراضي ببعد زمني، إذ يعد مؤقتًا، ويرتبط بوجود علاقة افتراضية، فإذا انتهت العلاقة الإلكترونية انتهى معها هذا النوع من التهادي، كما ترتبط الهدية الإلكترونية ببعد اقتصادي، فهي غير مكلفة ماديًا على الرغم من تأثيرها الكبير في إسعاد الآخر
- الهدية الإلكترونية لا تتمتع بهوية ثابتة، بل ترتبط بطبيعة مناسبة التهادي، وأذواق الناس، وطريقة حياتهم، وتتغير هويتها وشكلها وفق التطورات في تكنولوجيا الوسائط المتعددة ووفق التطور في أشكال الهدية المتاحة عبر الشبكات الإلكترونية، وفي الهدية الإلكترونية لا يسهم المهدى إليه برأي فيها أما الهدية التقليدية فقد يكون لمتسلم الهدية دور في اختيارها.
- على الرغم من إتاحة المعلومات المستخدمة في تصميم الهدية الإلكترونية عالميًا فإن الثقافة تفرض تصميمات الهدية وفق مقتضيات الثقافة، وتأثيرات الاتصال الثقافي،

ويتضح ذلك في اللغة المستخدمة-وأحيانًا اللهجة-، والرموز المعبرة عن المناسبة على الرغم من وجود رموز عالمية ترتبط بلغة عالمية مثل: الرموز المختصة بالألوان، والزهور، والموسيقى.

- تتسم الهدية الإلكترونية بقابلية الاستخدام، والتداول فيمكن إرسال الهدية الإلكترونية أكثر من مرة لأكثر من شخص، وهذا لا ينطبق على الهدية التقليدية؛ فهدية ما تقدم لشخص واحد فقط، وإذا أردت أن أرسل الهدية نفسها لأكثر من شخص فيجب أن أشتري هدايا بعدد يساوي عدد الأشخاص المراد تقديم هدية لهم.

وعندما يطبق الإطار التصوري التفاعلي الرمزي على دراسة التهادي الافتراضي، يمكن الوصول إلى الآتي:

ا- التهادي الإلكتروني طريقة مستحدثة لتقديم الهدية في شكل يشبه (بطاقات المعايدة) ، والمجتمع الافتراضي هو الذي ابتكر هذه الطريقة، وهو الذي حدد قواعدها على ضوء الثقافة السائدة؛ من ثم فإذا كانت معاني الهدية ومدلولاتها واحدة، فإن دورها الاجتماعي والثقافي مقصور على فئة مستخدمي مواقع التواصل، أي أن دورها افتراضي أيضًا؛ ومن ثم فهي تدعم العلاقات الافتراضية، والإلكترونية بالأساس، ولكنها لن تدعم علاقات حقيقية تتسم بالضعف، فهي تدعم العلاقات السطحية، والرسمية، والعلاقات بين المتباعدين مكانيًا، ولا يمكن أن تكون وحدها بديلاً مرضيًا بين من تربطهم علاقات قرابة أو مصاهرة تتسم بالقوة.

ب- يرتبط التهادي الافتراضي برموز عدة؛ تحمل عدة من المعاني الثقافية وضعها أعضاء المجتمع الافتراضي على ضوء قواعد التهادي التقليدية

ج- إن المدخل الملائم لدراسة سلوك الناس إزاء التهادي الإلكتروني واتجاهاتهم نحوه ما بين القبول أو الرفض أو اتخاذ موقفًا وسطا؛ إنما يتم عن طريق تحليل علاقات التهادي عبر العالمين الحقيقي التقليدي، والإلكتروني الافتراضي، إذ لا يمكن فهم علاقات التهادي الإلكتروني بمعزل عن التهادي التقليدي

د- يكتسب الإنسان ثقافة التهادي من المجتمع، والمحيط الاجتماعيّ؛ فهما اللذان يحددان له نمط السلوك المقبول، وغير المقبول فيما يختص بالتهادي والتزاماته.

ه- الشخص المهيأ معرفيًا، واجتماعيًا هو الذي يستطيع الاتصال رمزيًا ويشارك في المعاني، ويبادر بتقديم الهدية، ويردها، وينفعل؛ أي يقدم الشكر أو يبدي إعجابه بالهدية التي يتسلمها افتراضيًا

Abstract

Stability and change in traditional and electronic coping relations Anthropological study

By Salwa Sayed Abdelkader

Communication through social media networks is a new form of communication between humans. This pattern of communication requires a new pattern of social relations; especially gift-giving relations.

*As for the objectives of the study, they are as follows:

- The research aims to identify the concept of electronic gift-giving, and the nature of the electronic gifts

- Understand the social and cultural rules of electronic gift-giving, and to define the social and cultural roles of it

- Define stability and change elements of electronic gift-giving relationships
* As for the methodology of the study it is based on an anthropological field study of some social networks users, the researcher uses tools such as; interviewing and participant observation as well as cyber ethnography.
* As for the results, This study has reached several points are
- The electronic gift-giving didn't canceled the need for the traditional gift-giving.
- The pattern of electronic gift-giving in contrast to traditional one, is an appropriate and effective way to maintain superficial relationships with virtual friends.
- The electronic gift-giving is a double-edged sword; it's as much as strengthen human relations, it may weaken and destroy it in some of situations.
- The electronic gift-giving contains within the stability and change elements; stability evidenced in the continuity of gift-giving relations between humans, and the rules governing them, and the change will be in the gift form, the way of giving, receipt, and response.

الهوامش

(*) تبين وفق ما نشر على موقع فيسبوك بتاريخ ٥ مارس ٢٠١٧م أن هناك أكثر من ١.٩٤ مليار مستخدم فيسبوك نشط شهريًا في جميع أنحاء العالم، وهذه النسبة تزداد بمقدار ١٨٪ سنويًا. كما يوجد عدد ١.١٥ مليار مستخدم نشط للهاتف المحمول يوميًا، بزيادة قدرها ٢٣٪ سنويًا. وأن أكثر المستخدمين تتراوح أعمارهم ما بين (٢٥-٣٤) عامًا(source https://www.zephoria.com) وكشف التقرير السنوى الخامس عن الفيس بوك فى مصر عام ٢٠١٤م، استخدامه بواسطة 22,4مليون مستخدم، يمثلون أكثر من نصف مستخدمي الإنترنت وأكثر من ربع سكان مصر. وأشار التقرير الذى أصدرته شركة "إيماركتينج إيجيبت" أن مصر تأتي في المركز رقم(١٤) على مستوى العالم بنسبة نحو ١.٧٥% من إجمالي نحو ١.٣ مليار مستخدم للفيسبوك في العالم. والمركز الأول بين الدول العربية بنسبة نحو ٣٠% من إجمالي نحو ٧٥ مليون مستخدم للفيسبوك في المنطقة العربية. ويبلغ معدل مستخدمي الفيسبوك في مصر نحو ٢٥.٧٤% من السكان

وذكر التقرير أنه من حيث الفئات العمرية، يمثل المستخدمون أقل من ٣٠ سنة نحو ٧٥% من الإجمالي، كما أن المستخدمين في سن ١٨ سنة تحديداً هم أكبر فئة في سنة عمرية واحدة ويبلغ عددهم نحو ١.٣٠٠.٠٠٠ مستخدم بنسبة ٦.٢٩% من إجمالي المستخدمين

(www.almasryalyoum.com/news/details/580405).

1-Blummer Herbert Symbolic Interactionism: Perspective and Method, University of California, Berkeley 1969 P 1-6

2- Denzin, Norman K. (1992) Symbolic Interactionism and Cultural Studies: The Politics of Interpretation, Black Well Publishing, UK, Digital Print; 2003: 25- 27

3- http://www.ldoceonline.com/dictionary/gift

4- فاروق أحمد مصطفى، البناء الاجتماعي للطريقة الشاذلية في مصر؛ دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص ٢٢١.

5- The Editors of Encyclopedia Britannica, Gift Exchange, Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica,١٩٩٨ Inc., available at; https://www.britannica.com/topic/gift-exchange

6- جون سكوت وجوردون مارشال موسوعة علم الاجتماع، المجلد٢، ترجمة نخبة، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٣٧٢-٣٧٣.

7- Davis, J. "Exchange" In; Kuper, A. &Kuper, J.(ed) The Social Science Encyclopedia, 3rd Edition, Routledge, NY ٢٠٠٩ P 331

8- Pauls, Elizabeth P. (2017) "Kinship", In Encyclopedia Britannica. Retrieved from http://academic.eb.com/levels/collegiate/article/kinship/109755#278967.toc

9- The Editors of Encyclopedia Britannica , Ibid.

10- أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعيّ؛ ج٢، الأنساق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١ ص ٢٥١-٢٥٢

11- Firth, R. "The Place of Malinowski in The History of Economic Anthropology" In; Firth, R.(ed.) Man and Culture; An Evaluation of the Work of Malinowski, Harper and Row, Publishers, NY ١٩٥٧ P: 219

12- جون سكوت وجوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة نخبة، المجلد الأول، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٥٨

13- Gregory, C. A. "Gifts", The New Palgrave Dictionary Of Economics, Palgrave Macmillan, London , 2016, retrieved from; http://link.springer.com/referencework/10.1057/978-1-349-95121-5

14-Codere, Helen, "Exchange And Display"In; Sills, DL(ed) IESS, Vol.5,Crowell Collier&Macmillan, INC.USA 1972, P: 239

15- Larissa Lomnitz, 'Reciprocity in Urban Chile" In; Dalton, G. (ed.,). Studies in Economic Anthropvology, American Anthropological Association, Washington D.C 1971, P: 101.

16- شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان؛ المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة نخبة، ط٢ ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 1998 ، ص ٢٢٢.

١٧- البوتلاش Potlatch نظام يوجد في عدد من قبائل الهنود الحمر الذين يعيشون على الساحل الشمالي الغربي لأمريكا. ويرتكز في أساسه وفي أبسط مظاهره على أن يقوم الشخص من ذوي المكانة والمركز الاجتماعي بتوزيع نوع معين من الأغطية على أقاربه الذين لا يلبثون بعد انقضاء فترة من الزمن أن يردوا إليه هذه الأغطية بعد أن يضيفوا إليها أعدادًا أخري قد تصل إلى أضعاف ما أخذوه منه في الأصل. ومن ثم فهو نظام اجتماعي شعائري يهدف إلى اكتساب مزيد من السمعة الطيبة عن طريق المنح والإعطاء والمبالغة في الرد، ويعد فرانز بواس من أفضل العلماء الذين درسوا البوتلاش. وأما الكولاKula فهو أيضًا نظام للتبادل الشعائري يوجد لدى قبائل الأرجونوتس في جزر التروبرياند، ويحدث بين سكان تلك الجزر، والجزر الأخرى المجاورة، ويهدف إلى تبادل أشياء معينة وسلع تتألف من عقود طويلة من الصدف الأحمر وأساور مصنوعة من الصدف الأبيض، وأن لهذه السلع قيمة اجتماعية وشعائرية، وأن مكانة الفرد تتحدد تبعًا للنفائس التي يحصل عليها، لاسيما وإن كانت مصنوعة من الأصداف النادرة. ويعد مالينوفسكي من أوائل العلماء الذين درسوا هذا النظام. للمزيد انظر "البناء الاجتماعي" مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الأول والثاني، تأليف أحمد أبو زيد، طبعة ٢٠١١ ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

18- أحمد أبو زيد، المرجع السابق، ص ٢٢٨

١٩- عبد الله غانم التبادل وعمليات الاستثمار والادخار في المجتمع المحلي التقليدي والحضري، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٢.

20- Davis, J. Ibid P: 331

21- شارلوت سيمور-سميث، موسوعة علم الإنسان؛ المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة نخبة، ط٢ ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩ ، ص ١٨٢-١٨٣.

22- Kottak,C.P., Anthropology; Appreciating Human Diversity, 16th edition, McGraw-Hill Education, NY, 2015, P: 311-٣١٥.

٢٣- المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣.

٢٤- Hoebel E.Adamson, Anthropology: The Study of Man, 4th edition, McGraw-Hill, Inc.1972, P:345-346.

25- Muriel, Irene Sabaté, Exchange Networks and Free Shops in Berlin: Gifts and Commodities in ‘ Alternative’ Consumption Experiences. Etnográfica, 13(1),2009, ٥٤-٥٠. Retrieved February 25, 2017, from http://www.scielo.mec.pt/scielo.php?script=sci_arttext&pid=S0873-65612009000100005&lng=en&tlng=en.
26- Seidemann, V. , Atwal, G. & Heine, K., Gift Culture in China: Consequences For the Fine Wine Sector, in Roberta Capitello & others(ed) The Wine Value Chain in China, Elsevier Ltd. 2017, : 47–61 Retrived from http://www.sciencedirect.com/science/book/9780081007549
27- Rheingold H. L., “Virtual Community”, Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, Inc. 2012 retrieved from; https://www.britannica.com/topic/virtual-community, Access Date: April 09, 2017
28- The Editors of Encyclopædia Britannica, ”Symbol” Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, Inc. 2009, retrieved from; URL: https://www.britannica.com/topic/symbol, Access Date: April 10, 2017
29- جون سكوت وجوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة نخبة، المجلد 2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٩٤
30- جون سكوت وجوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة نخبة، المجلد ٣، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٢١٧- ٢١٨
٣١- على محمود إسلام الفار، معجم علم الاجتماع، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٤٤٣
3٢- The Editors of Encyclopædia Britannica, “Social Status’’ Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, 2015, Inc. Retrieved from https://www.britannica.com/topic/social-status, Access Date: April 07, 2017
٣3- جون سكوت وجوردون مارشال، مرجع سابق، ص ٢١٨.
3٤- The Editors of Encyclopædia Britannica(١٩٩٨)“Role” Encyclopedia Britannica, Encyclopedia Britannica, Inc. Retrieved from https://www.britannica.com/topic/role, Access Date: April 09, 2017
٣٥- محمد عبد الرحمن الشرنوبي(المقرر) (٢٠١٣) معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا، مجمع اللغة العربية الطبعة الأولى، القاهرة : ١٨٠
٣٦- جون سكوت وجوردون مارشال، مرجع سابق، ص ١٧٠-١٧١
37- Kottak, C. Ph. Anthropology; The Exploration of Human Diversity, 9th Edition, McGraw Hill, Boston, 2001, P.282,283.
38- Haviland, W.A., Cultural Anthropology, 10th Edition, Thomson Learning Inc., Australia, 2002, P: 422.